الإسهام الحضاري لمصر القديمة في الفلسفة اليونانية

د. شرف الدين عبد الحميد أمين
مدرس الفلسفة اليونانية، كلية الآداب، جامعة سوهاج
sharafameen@yahoo.com

المقدمة

يهدف هذا البحث إلى أن تعي الذات القومية بنفسها وعيًا نقديًا للماضي وذلك حتى يمكن فهم الحاضر والتمهيد لإنتاج المستقبل؛ وذلك بالعودة إلى التاريخ الفكري والحضاري- سواء تاريخنا القومي أم التاريخ الإنساني العام، لنستمد منه طاقةً رُوحيةً لصنع المستقبل؛ فجديرٌ بمن أسهم في إنجاز حضارة إنسانية راقية أن يستكمل ما بدأه منذ أكثر من ثلاثين قرنًا أو زيادة .

ويحاول البحث أن يجيب عن تساؤلٍ رئيسٍ هو: هل أسهمت الحضارة المصرية في الفلسفة اليونانية، أم أنها لم تعرف سوى الفكر الأسطوري الديني، ومن ثم ليس لديها فلسفة بالمعني الذي عرفته الحضارة اليونانية القديمة؟

يمكن أن نحدد خمسة نماذجَ (Models) تفسيريةً، حاولت الإجابة عن هذا التساؤل الرئيس؛ وهي:

١- نموذج "المعجزة اليونانية": يرى أصحاب هذا النموذج أن الفلسفة اليونانية هى معجزة، نشأت في القرن السادس قبل الميلاد، على غير مثال سابق (هو ما أطلق عليه "مارتن برنال"، في كتابه "أثينة السوداء"، "النموذج الآري المتطرف"). من أبرز ممثليه جون بيرنت وزيلر وجمبرتز.

٢- نموذج "المعجزة المصرية": الذي يذهب أصحابه إلى أن الفلسفة "معجزة مصرية"، وأن اليونانيين ليسوا سوى "سراق للفلسفة المصرية!". أبرز ممثل لهذا النموذج "جورج جيمس" صاحب كتاب "التراث المسروق: الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة".

٣- "النموذج الانتشاري": نجد هذا النموذج لدى علماء الأنثروبولوجيا. ومن أبرز مؤيدي النظرية الانتشارية المصرية "إليوت سميث"، و"وليام بري"، و"ريفرز". يؤيدون نظرية أنَّ الحضارة نشأت في بقعةٍ ما، ثم انتشرت حول العالم. و أنّ هذه البقعة التي انتشرت منها الحضارة هى مصر. تبنى هذا النموذج حسن طلب في كتابه: "أصل الفلسفة: حول نشأة الفلسفة في مصر القديمة وتهافت نظرية المعجزة اليونانية".

٤- " النموذج الحضاري القديم"، أقصد به أقوال المؤرخين والفلاسفة القدماء الذين يؤيدون التأثير المصري على الحضارة والفلسفة اليونانية. كذلك من حاول إثبات صحة هذه الأقوال من الباحثين المعاصرين الذين أيدوا نظرية "البداية الشرقية"، وأقروا بوجود أثر للحضارة المصرية على الحضارة اليونانية. ويأتى على رأس هؤلاء "هيرودوت" و"أفلاطون" قديمًا. وباحثون كثر حديثًا، لعل من أهمهم "ول ديورانت"،"جورج سارتون"، "توملين"، "فرانكفورت"، "مهرداد مهرين"، "محمد غلاب"، "حسام الدين الألوسي"، "مهدي فضل الله"، و "مصطفى النشار".

٥- النموذج القديم المعدل" هو النموذج الذي تبناه "مارتن برنال" في عمله الضخم "أثينة السوداء: الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية". يشمل التعديل الذي قدمه "برنال" على النموذج الحضاري القديم كلَ ما قدمه في كتابه المشهور من أدلة أثرية وتاريخية وفيلولوجية.

نموذج الإسهام الحضاري

هو النموذج الذي يقترحه البحث لتفسير نشأة الفلسفة اليونانية. ويقوم على دعامتين أساسيتين: الأولى: النصوص المقارنة، والثانية: "النموذج القديم المعدل".

سوف يعتمد هذا البحث على ترجمات النصوص الأصلية، مثل: "متون الأهرام" و"نصوص التوابيت" و"كتاب الموتى"، و"نصوص الأدب المصري القديم"، و نصوص الشرق الأدنى القديمة (التي ترجمها جيمس بريتشارد) ونصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة (التي ترجمتها كلير لالويت). وتلك الترجمات وردت فى كثير من المراجع والكتب وأُعتُمِدَ عليها فى موضوعات مختلفة.

على هذا الأساس ينقسم البحث إلى جزأين:

الأول: المنطلقات النظرية: "نموذج الإسهام الحضاري". أي بنية النموذج الذي يقترحه البحث؛ وهو يقوم على ستة عناصر رئيسة. الثاني: الإسهام الحضاري: "التأييد النصي". ويمثل الجزء العملي، والتحقيق الفعلي للنموذج المقترح، وفي الوقت نفسه يمثل اختباراً لمنطلقاته النظرية. وينطلق البحث نظرياً من نظرية **الإسهام الحضاري** التي تحاول معرفة مدى الإسهام الحضاري لمصر القديمة في الفلسفة اليونانية من خلال مقارنة نصوص الفكر المصري القديم بنصوص الفلاسفة اليونانيين، وتحليلها ثم الخروج بالنتيجة، وسيكون ذلك بوضع هذه النصوص في عامودين: العامود الأيمن يحوي النصوص المصرية القديمة، والعامود الأيسر يضم النصوص اليونانية المقارنة. وفي النهاية أعرض لنتائج البحث العامة والكلية، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

أولاً: المنطلقات النظرية
"نموذج الإسهام الحضاري"

أقصد بنموذج الإسهام الحضاري هنا: **"هو ذلك التصميم المصغر والمبسط لتلك الحقيقة المعقدة؛ حقيقة نشأة الفلسفة اليونانية"**، ويتحدد في العناصر الستة الآتية:

١- لغة الدين/ الأسطورة، ولغة الفلسفة/ التجريد
٢- اللاهوت والميتافيزيقا والفلسفة
٣- مصرية الأصل الاشتقاقي لكلمة فلسفة
٤- زمان ومكان نشأة الفلسفة اليونانية
٥- الاتصال بين مصر واليونان
٦- تيار الحكمة يبدأ من النيل

وفيما يأتي توضيح مناسب لهذه المنطلقات النظرية، المشكلة لبنية نموذج الإسهام الحضاري:

١- لغة الدين/ الأسطورة، ولغة الفلسفة/ التجريد

اللغة الأسطورية والتجريد

ذهب **إدوارد زيلر** (Zeller ١٨١٤-١٩٠٨) إلى أن الفلسفة هى ابتكار يوناني، وأن العقل اليوناني يمتاز بالقدرة الفائقة على التجريد strong power of abstraction(١)، وعلى العكس من ذلك كانت اللغة المصرية القديمة لغة دينية أسطورية، وبالتالي لا يمكن مقارنتها بلغة الفلسفة العقلية التجريدية؛ فاللغة المصرية القديمة تلاءم التفكير اللاهوتي الميثولوجي، بينما تصلح لغة الفلسفة اليونانية للتفكير العقلي الخالص؛ المنبت الصلة عن الدين ولغته الأسطورية. هذا هو الأساس الذي يَسنِدُ حجةَ الزاعمين بالأصل الإعجازي للفلسفة اليونانية، المقطوعة الصلة بالميثولوجيا ولغتها، والتي تفسر أصل العالم والأشياء تفسيراً طبيعيًا، قائمًا على التجريد وملاحظة الأشياء ذاتها؛ أي تلك الفلسفة التي بدأت مع طاليس ولم توجد قط من قبله. وهذا ما ذهب إليه جون بيرنت وتيودور جومبرتز وآخرون.

ونحن نختلف مع هؤلاء، وسوف تبين النصوص التي سنذكرها فيما يأتي مقدار صحة رأيهم. فلنطالع فقرات من المدرسة الملطية الأيونية ومن المدرسة الإيطالية: طاليس و أناكسيماندروس و أناكسيمينيس وهيراكليتوس، وفيثاغورس:

أولاً: نصوص من المدرسة المَلَطِيّة الأيونية (The Ionian Milesian School)**: طاليس، أناكسيماندروس، أناكسمينيس، هيراكليتوس:**

١- طاليس (Thales) **(حوالي ٦٢٤-٥٤٦ ق.م.)**

-"كل شيء مملوء بالآلهة" πάντα πλήρη θεων،[٢].

-" إن للعالم نفسًا وإنه حافل بالآلهة"[٣]τον κόσμον ἔμψυχον καὶ δαιμόνων πλήρη[٤]

---

(1) (E.) Zeller 1980: Outlines of The History of Greek Philosophy, Trans by:- LR. Plamer, 13th Ed, Dover Publications Inc, New York,.**p.19.**

(٢) **أفلاطون: ١٩٨٦م. القوانين، ترجمه من اليونانية إلى الإنجليزية : تيلور، نقله إلي العربية: محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص٤٧٠.**

Plato, 1926, Laws. Book x, 988,B, ed by R.G. Burg vol x, Loeb classical library, William Helnemann, London, G.pputnams sons, New Yourk.

(٣) **أرسطو١٩٦٢م: كتاب النفس، ك١،فقرة ٤١١أ، ١٠ الطبعة الثانية، ترجمة : أحمد فؤاد الأهواني، راجعه على اليونانية الأب جورج شحاتة قنواتي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ص٣٦.**

(4) **نقلاً عن مجدي كيلاني٢٠٠٩: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى Aristotle, De Anima, v,8,9 أفلاطون، دراسة مصدرية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص، ٢١.**

٢- أناكسيماندروس (Anaximandros) (حوالي٦١١-٥٤٦ ق.م.)

-" الأبيرون (اللانهائي) هو المادة الأولى للأشياء الكائنة. وهو أيضًا الأصل الذي تُستَمدُ منه الموجودات وجودها، وهو الذي تعود إليه عند فنائها؛ طبقًا للضرورة".

-" وذلك لأن بعضها يخضع لحكم العدل ويصلح بعضها الآخر (يجب أن يعاقب وأن يكفر بعضها عن بعضها الآخر) لما قامت به من ظلم، تبعا لنظام (لحكم) الزمان[١]"

٣- اناكسيمينيس (Anaximenes) (حوالي ٥٨٨-٥٢٤ ق.م.):

-" وعنها- أي المادة الأولى (= الهواء)- نشأ الآلهة والأمور الإلهية التي تكون والتي كانت والتي سوف تكون. وعنها تتولد الأشياء الأخرى"[٢].

٤- هيراكليتوس الأفسوسي (حوالي ٥٤٠- ٤٧٥ق.م.)

-"إن الإله صاحب المعجزة في دلفي، لا يتكلم ولا يخفي مراميه، بل يرمز"

-"إن الكاهنة سبيلي (Sibyl) صاحبة اللسان الذي يهذي فتنطق بكلام جاد غير مزوق أو منمق، تُسمعُ الناسَ صوتها أكثر من ألف عام، وبفضل الإله الذي يوحي إليها"[٣].

-""تشم الأرواح في هاديس (Hades) (أي الجحيم)"[٤].

-"عندما يكون الإله هناك تنهض الأرواح من الجحيم وتقوم على حراسة الأحياء والموتى[٥].

ثانيًا: نصوص من اليونان الكبرى (صقلية وجنوب إيطاليا)

١- نصوص منسوبة إلى فيثاغورس والمدرسة الفيثاغورية (حوالي ٥٧٢-٤٩٧ ق.م)

" إن فيثاغورس اكتسب اسمه لأنه" "نطق بالحق؛" بوصفه شخصاً معصوماً من الخطأ، كما تفعل عرافة دلفي المسماة **بوثيا** Pythia)[٦]

" فيثاغورس الإلهي" الذي تستمد فلسفته مصدرها من الآلهة ذاتها، ولهذا لا يمكن فهمها دون معونة الآلهة الملهمة[٧].

"فهو الرجل الذي أعجب به غاية الإعجاب و مجده طابور طويل، ولانهائي، من المريدين والأتباع الذين قدسوه باعتباره نصف إله[٨].

""أن بيته وُهب للإلهة ديميتر (Demeter)، وأن روحه تنتسب للإله هيرمس (Hermes)[٩].

---

[١] أحمد فؤاد الأهواني٢٠٠٩م: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ص ٥٧.

[٢] الأهواني: قجر الفلسفة، ص، ٦٥.

[٣]الأهواني: قجر الفلسفة، ص ، ١٠٤.

[٤]الأهواني: قجر الفلسفة، ص ، ١٠٦.

[٥]الأهواني: قجر الفلسفة، ص ، ١١٢.

[6] Diogenes Laertius, 1972 Lives of Eminent Philosophers, V111,20-22, Vol. 11, Trans by: R. D. Hicks, M.A. Cambridge, Massachusetts, Harvard university Press, London. p 339.

[7] Iamblichus, ,1818, live of Pythagoras or Pythagoric life, chap 1 , translated from the Greek by Thomas Taylor, J.M.Watkins, London ,p1.

[8] Theodor Gomperz, 1964, The Greek Thinkers, vol1, trans By Laurie Magnus, John Murray, Albemarle Street,W, London, p 99.

[٩] الأهواني: قجر الفلسفة،ص ، ٧٧-٧٨.

"كان فيثاغورس في حياته صانع معجزات [١]، وبعد مماته لم يعد أحد من القدماء يشك في أنه من الرجال المقدسين، وأنه جمع بين تقاليد متصوفة الشرق والغرب معًا[٢].

٢- نصوص من المدرسة الإيلية: بارمنيدس (ازدهر حوالي ٥٠٠ ق.م) من قصيدته في الطبيعة:

- " قادتني الأفراس (العربة) التي كانت تحملني بعيدًا إلى حيث هفا قلبي، وأوقفتني (الآلهة) عند ذلك الطريق المشهور (طريق الآلهة) الذي يهدي الحكيم العارف بسائر المدن... ثم ضاعفت **العذارى** بنات هيليوس (Helios) من سرعتهن، وكشفن بأيديهن النقاب عن رءوسهن (وجوههن)، ليحملنني إلى النور، وقد خرجن من مسكن (قصر) الليل.

"مرحى أيها الشاب، يارفيق الهاديات (أي العذارى سائقات العربة) الخالدات، اللاتي أرشدن عربتك إلى بيتي، مرحى... لقد أرسلت في هذا الطريق بالأمر الإلهي Themis (ثيميس ابنة السماء والأرض وأم الساعات والحظوظ، وهى ربة نظام الأشياء طبقا للقانون والعرف) والعدالة Dike (ديكي)،لا القدر السيئ (وإنه حقًا لطريق بعيد عن أقدام البشر)، حيث تبحث في كل شيء" [٣].

٣- نصوص من إمبادوكليس (ازدهر حوالي ٤٥٠ ق.م)

نصوص من قصيدته **"في الطبيعة": مخاطبة الآلهة**

- "أيتها الآلهة، أبعدي عن لساني حماقة هؤلاء الناس، وألهمي شفتي القدسيتين أن تنطقا في صفاء وتدفق. وأنت يا ربة الشعر المعشوقة، يا بيضاء الذراعين، أتوسل إليك أن تلهميننى سماع ما يأذن به القدر (= القانون الإلهي) بسماعه لأبناء النهار، مبعدة عربتي المطهمة عن العالم المقدس."[٤].

- "ولتسمع أولاً الأصول الأربعة للأشياء: زيوس (Zeus) الساطع، وهيرا (Hera) جالبة الحياة، وأيدونيوس (Aidoneus) ، ونيستيس (Nestis) التي فاضت دموعها فتكونت ينابيع الرطوبة للمخلوقات" [٥].

نصوص من قصيدة "في التطهير": أمبادوكليس المخلِّص

-"إني أطوف بكم أمشى إلهًا مخلدًا لا بشرًا فانيًا، يخلع جميع الناس على كما ترون تيجان الزهور المنضدة. ويمجدني الرجال والنساء حين أزورهم في مدائنهم المزدهرة (كأني إله)"[٦].

-" فقد كنت من قبل صبيًا، وبنتًا، وشجرة وطائرًا، وسمكة بكماء في البحر[٧].

هذه ليست لغة مصرية أسطورية قديمة، بل هي لغة عُد أصحابها- عند زيلر وبيرنت وجومبرتز وغيرهم- من كبار الفلاسفة وكبار العقليين الذين أسسوا اللغة الفلسفية التجريدية الأولى الخالصة في العالم!

---

[١] **Christoph Riedweg, 2008, Pythagoras: His life, Teaching, and influence, translation from German By Steven Rendall, Cornell University Press, New Yourk, p 2.**

[٢] **Christoph Riedweg, Pythagoras, p ١.**

[٣] **بارمنيدس: قصيدة في الطبيعة، فقرة ١، ترجمة : الأهواني، فجر الفلسفة، ص ١٢٩- ١٣٠.**

[٤] **أمبادوكليس: في الطبيعة، فقرة ٤ ، الأهواني: فجر الفلسفة، ص ١٦٥.**

[٥] **أمبادوكليس: في الطبيعة، فقرة ٦ ، الأهواني: فجر الفلسفة ، ص ١٦٦.**

[٦] **أمبادوكليس: في التطهير، ا فقرة ١١٢، الأهواني: فجر الفلسفة ، ص ١٨٧.**

[٧] **أمبادوكليس: في التطهير، ا فقرة ١١٧، الأهواني: فجر الفلسفة ، ص ١٨٨.**

النصوص المصرية القديمة

أرسطو:
والرجل الذي تحير وتعجب ظن نفسه جاهلاً (ومن هنا فإن محب الأسطورة هو بمعنى محب للحكمة؛ لأن الأسطورة مليئة بالعجائب**!)"**[١]

ذكرنا سابقًا أن البحث سوف يعتمد على النصوص المصرية القديمة- مثل نصوص الأهرام- و هي من أقدم النصوص الدينية في تاريخ البشرية، وأول نص طويل وممتد في تاريخ الكتابة، كما تعد المصدر الأول لنصوص دينية أخرى عرفتها مصر القديمة، مثل نصوص التوابيت في عصر الانتقال الأول والدولة الوسطى، وكتاب الموتى، وكتب العالم الآخر في عصر الدولة الحديثة[٢]؛ وغيرها من النصوص التي سنقارنها بنصوص من الفلسفة اليونانية، فهل هذا ممكن؟

إن الكتابة الهيروغليفية المصرية هي نظام معقد مركب؛ لأنها تشير إلى العالم الخارجي واللغة في آن واحد؛ فالكتابة هنا ذات طبيعة مزدوجة: عناصرها تستخدم من جانب كإشارات لغوية تشير إلى الشيء اللغوي، ومن جانب آخر تستخدم كصور ترتسم فيها أشكال العالم الخارجي. وفي هذه الوظيفة الأخيرة تؤدي مفردات الخط الهيروغليفي الشيء نفسه الذي يؤديه الفن، وتتحول من كونها عناصر كتابية إلى صور فنية، إلى "نسق ونماذج"- على حد تعبير أفلاطون. وفي هذا النسق و "النماذج" تحمل في الوقت نفسه صفة القدسية؛ وذلك لأنها "نماذج" و"نسق" من صنع الآلهة[٣].

إن تلك النصوص القديمة تثير عديدًا من الأسئلة وخاصة عن طبيعتها، وهل يمكن التعامل معها باعتبارها بمثابة كتاب ديني للمصريين القدماء، وما درجة مصداقية وصفها بمصطلحات من قبيل: سحرية، وجنائزية، وطقسية، وأسطورية، وهى كلها مصطلحات صكّت واكتسبت معناها في سياق الثقافة الغربية بشقيها الكلاسيكي والمسيحي، وهى الثقافة المهيمنة التي تنتمي إليها الغالبية العظمى من مدارس علم المصريات[٤]. وما درجة العلمية في اعتبارها نصوصًا فلسفية تصل إلى حد المقارنة بنصوص الفلسفة اليونانية؟

لكي نفهم الفلسفة القديمة، فإننا في حاجة لأن نعد أنفسنا لفعل أمرين: الأول، يجب أن نتعلم التعود على مصطلحات فنية غير مألوفة، والثاني، يجب أن نكون على استعداد للإيمان بأن أجدادنا كانوا في معظم خصائصهم راشدين وناضجين بقدر ما نحن عليه. وأن الحديث حول "طفولة الجنس البشري" هو حديث طائش، وأما عن أن القوى العقلية للإنسان العاقل Homo Sapiens قد طرأ عليها زيادة ملحوظة منذ أقدم العصور، فهو أمر لم يثبت بعد- على حد تعبير **"توملين"**[٥].

علينا إذًا أن نتخلى عن كل ما هو مألوف في كتبنا الحديثة، عند قراءة النصوص القديمة، المكتوبة بلغة غير مألوفة هي لغة الرموز (هي "شفرة" علينا أن نملك مفاتيحها) وكانت الكلمة والكتابة تعملان معًا للإيحاء بقصص أخرى للخلق وفتحتا آفاقًا جديدة تطل على أسرار الكون التي لا قرار لها. إن جميع

---

(١) أرسطو: ٢٠٠٥م، الميتافيزيقا، فقرة ٩٨٢، ب، إمام عبد الفتاح إمام، ترجمة الكتب الخمسة الأولى من ميتافيزيقا أرسطو، ضمن كتابه: مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر، القاهرة، ص ٢٦١.

(٢) حسن صابر٢٠٠٢م: متون الأهرام المصرية القديمة، المشروع القومي للترجمة، رقم ٣٣٦، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص ١٢.

(٣) بيير جريمال، ١٩٩٦ :مقدمة كتاب: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة من المصرية القديمة إلى الفرنسية، كلير لالويت، المجلد الثاني، الأساطير والقصص والشعر، الترجمة العربية: ماهر جويجاني، مراجعة:د.طاهر عبد الحكيم، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة-باريس، ص ، ١٠.

(٤) حسن صابر: متون الأهرام المصرية القديمة ، ص ١٠.

(٥) أ.ف.توملين: فلاسفة الشرق، الطبعة الثانية، ترجمة: عبد الحميد سليم، مراجعة: على أدهم، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ص ص ٣٩-٤٠..

الأساليب صالحة لمحاولة الوصول إلى ما وراء الظواهر[1]. وهل الفلسفة شيء آخر غير محاولة الوصول إلى ما وراء الظواهر، بقطع النظر عن القالب اللغوي الذي صيغت فيه ؟
صحيح أنه يمكن لهذه اللغة "التجسيمية" أن تزعج عقولنا، نحن المعاصرين، ولكن هل نستطيع أن نقول إن هذه اللغة الأسطورية يمكن أن تنقص، أو تقلل من القيمة الفلسفية للأفكار التي تتضمنها هذه النصوص القديمة؟ إن اللغة الدينية التجسيمية لا يمكن التشكيك في أنها ليست لغة التجريد الفلسفي، ومع ذلك فهذا لا يقلل أبدًا من قيمتها الفكرية ومضمونها الفلسفي، خاصة مضمونها الميتافيزيقي؟ وإلا لتوجب علينا أن نحذف نصوص الفلسفة اليونانية التي لم تعرف التجريد إلا على يد أرسطو وحده. (ومن بقى لديه أدنى شك في أن لغة الفلسفة اليونانية في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد هي لغة أسطورية غير تجريدية فليطالع- مرة أخرى- النصوص التي أوردناها للفلاسفة السابقين على أرسطو، وليمعن النظر لعله يتمكن من اكتشاف إنها ليست من نوعية اللغة المصرية القديمة ذاتها!).
وقد احتوت متون الأهرام ونصوص التوابيت وغيرها من النصوص المصرية القديمة على نظريات في الخلق، توضح السبق الفكري لوضع أسس لنظريات نادى بها بعض الفلاسفة في زمن لاحق[2]، كما سنرى فيما بعد.

---

(1) يان أسمن٢٠١٣: الذاكرة الحضارية ، الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ص ، ٣٢٣-٣٢٤.

(2) ثناء الرشيدي، ٢٠٠١م: النار الأثيرية عنصر مؤثر في عملية الخلق، بحث ضمن كتاب الملتقى الرابع للآثاريين العرب، ص ١٢٢.

٢- اللاهوت والميتافيزيقا والفلسفة

أرسطو:
"(الميتافيزيقا) أعظم علم إلهي، هو أيضًا علم يُبجل؛ وهذا هو العلم وحده- بطريقتين- أعظم إلهية؛ لأن العلم الذي يناسب الإله أكثر من أي علم آخر هو العلم الإلهي، وكذلك أي علم يدرس الموضوعات الإلهية. ولهذا العلم وحده هاتان الصفتان معًا، فقد قيل إن الإله هو من بين الأسباب جميعًا أو هو المبدأ الأول. ومثل هذا العلم: إما أن يكون الإله وحده أو أن الإله هو فوق جميع الموضوعات الأخرى. والواقع أن جميع العلوم ربما كانت أكثر ضرورة من هذا العلم لكنها ليست أفضل منه"[١].

إن الدين- ولغته اللاهوتية- أعظم العوامل تأثيرًا في نفوس القدماء، مصريين ويونانيين وغيرهم من البشر؛ لأنه يفسر لهم سرَ هذا الكون بتعاليمه الجذابة، ويردعهم بزواجره المهيبة، ويشجعهم بآماله المستديمة، ويؤرخ لهم أوقاتهم بأعياده ويقدمهم في الفنون والآداب والعلوم بإرشادهم نحو الطريق المستقيم[٢]. ويجعلهم يتفلسفون ويتأملون في مشكلة أصل وجودهم ووجود العالم تأملاً ميتافيزيقيًا ساميًا، وهذا ما أعتبره أرسطو أسمى أنواع التفكير: التفكير حول الموجود الإلهي، أو ا"لفلسفة الأولى" أو- كما سمى فيما بعد على يد أندرونيكوس الروديسي - بالميتافيزيقا (μετά τά φυσικα).

فمن تحليل طبيعة الميتافيزيقا اليونانية- وهي جوهر الفلسفة عند اليونان- يمكن القول أنها لم تكن إلا صياغة جديدة، بألفاظ ومصطلحات "ظاهرها" العقلانية والعلمية، للموضوعات الدينية الميثولوجية نفسها التي كانت سابقة على ظهور الميتافيزيقا اليونانية[٣]. ويرى أرسطو أن الميتافيزيقا تكون علماً لاهوتيًا بمعنيين: بمعنى إذا كان ثمة علم للإله(θεός) فهو علم الميتافيزيقا، وأيضا بمعنى أن الإله هو موضوع الميتافيزيقا. لذلك تسمى الميتافيزيقا بالعلم اللاهوتي أيضًا، أو علم اللاهوت (θεολογική ἐπιστήμη). وأخيراً يعرّف أرسطو الميتافيزيقا في مواضع عدة بأنها علم الجوهر(περί τῆς οὐσίας). ماذا يعني ذلك- نتساءل مع مارياس- هل هناك ثلاثة علوم أم هو علم واحد؟ هذا السؤال شغل أرسطو بشدة، فهو يعود إلي إثارته مراراً وتكراراً، ثم يعود فيؤكد وحدة الفلسفة الأولي، الميتافيزيقا: إنه علم فردي، وفي الوقت نفسه هو علم الوجود بما هو موجود، وهو علم الإله وعلم الجوهر[٤] . لقد أطلق أرسطو اسم "الثيولوجيا" (θεολογία) ، أو علم اللاهوت على أرفع العلوم الميتافيزيقية وأشرفها[٥].

ونحن نظن أن المصري القديم لم يفعل شيئًا أكثر مما قاله أرسطو، أو مما جعله أعظم موضوع للتفكير وللفلسفة: التأمل في الموجود الإلهي، وهل لدى المصري القديم شيء أهم من التأمل في إلهه والبحث في طبيعته وتمجيده وإقراره بخلقه للكون والإنسان والحيوان والنبات، وكل شيء في هذا العالم أو العالم الآخر؟!

---

(١) أرسطو: الميتافيزيقا، فقرة ٩٨٢، ب، و ٩٨٣ أ، د، ص ٢٦١.

(٢) جيمس هنري برستد ١٩٩٦م،: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، الطبعة الثانية، ترجمة: حسن كمال، راجعه وصححه: محمد حسين الغمراوي بك، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ٣٥.

(٣) حسام الدين الألوسي١٩٨١م،: بواكير الفلسفة قبل طاليس، أو من الميثولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ٤

(4) J. Marias, 1967: history of philosophy, translated from Spanish By stanley Appelbaum and Clarence C.Strowbridge, Dover Publications, Inc, New York, P. 64.

(5) W. D. Ross 1971: Aristotle, Methuen & Co. LTD, London, p. 179.

٣ ـ مصرية الأصل الاشتقاقي لكلمة فلسفة

أفلاطون:
"كلمة (سوفيا) Σοφια (حكمة) غامضة جداً، وتبدو أنها ليست من أصل محلي (ويبدو أنها من أصل أجنبي)**"**[١].

من الشائع أن **من** أقدم الروايات الخاصة باشتقاق لفظة **فيلوسوفيا** (**Philosophia** φιλοσοφία)، (أي محبة الحكمة) تلك التي يرويها **ديوجينيس اللائرتي،** وهي أن فيثاغورس في حديثه مع ليون (Leon) حاكم مدينة فليوس (Phlius) [٢]، كان أول من صرح أن **الإله** وحده **هو** الحكيم (Sophos) أنا الإنسان فهو محب (Philon) للحكمة فقط. وهدف الإنسان بحسب هذا القول هو الحكمة التي عرفها فيثاغورس وأصحابه بقولهم إنها النظر في ترتيب (Cosmos) الموجودات وأحكامها، ليس من أجل نفع يجنيه أو لذة يتمتع بها، بل من أجل المعرفة المجردة أو العلم الصحيح (Episteme) [٣].
لقد رفض فيثاغورس إذًا أن يستخدم كلمة سوفيا (Sophia-σοφία)، أي الحكمة؛ لأنها إدعاء عريض لا يرضاه تبجيلًا لإلهه؛ فالإله الفيثاغوري هو وحده الحكيم (σοφος)، ولكنه وصف سعيه لإدراك الحقائق بأنها فلسفة، أي "محبة الحكمة". وهكذا صارت كلمتا "فيلسوف" و "فيثاغوري" في القرن السادس كلمتين مترادفتين[٤].
لكن من غير الشائع أن أفلاطون نفسه هو من قرر أن هذه الكلمة (سوفيا) Σοφια (حكمة) ليست يونانية وإنما هى كلمة أجنبية[٥]. كما رأى أن البحث عن الكلمات ذات الأصل الأجنبي والتي أخذها اليونانيون الذين كانوا تحت سيطرة البرابرة، غالبًا ما استعاروا منهم مثل هذه الألفاظ ، ومنها- وهذا يدعو إلى التعجب- أن أفلاطون أعتقد أن كلمتي (بور) πυρ (نار) وكلمة (هيدور) ὑδωρ (ماء) يعتقد أفلاطون أنها من أصل أجنبي كذلك، وأن:"أي شخص يسعى لإظهار ملائمة هذه الأسماء وفقًا للغة اليونانية وليس وفقًا للغة التي منها اشتقت الأسماء، سيقع بالتأكيد في الخطأ". ويدلل عل اعتقاده قائلاً: " فكر فيما إذا كانت هذه الكلمة (بور) πυρ (نار) ليست أجنبية؛ ذلك أنه ليس من السهل أن نجد علاقة بين هذه الكلمة وبين اللغة اليونانية. ويمكن ملاحظة أن الفريجيين Phrygian لديهم نفس الكلمة ولكن مع اختلاف طفيف، وكذلك كلمة (هيدور) ὑδωρ (ماء) وكلمة (كونيس) κυνες (كلاب)، وكلمات أخرى كثيرة"[٦].
سنرى- فيما بعد- أن كلمة (هيدور) سيجعلها طاليس أصل العالم والمبدأ الأول، كذلك سيتخذ هيراكليتوس من كلمة (بور) أصلاً للأشياء ومبدأ أول للعالم، مع علمنا منذ الآن أنهما كلمتان أجنبيتان، أي يمكن أن يكونا مصطلحين أدخلهما طاليس وهيراكليتوس إلى بلاد اليونان من بلاد الشرق وعلى رأسها مصر.
يرى (مارتن برنال M.Bernal) أن أصل كلمة فلسفة هو مصري وذلك نقلاً عن إيسوكراتيس Isokrates الخطيب الأثيني الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد وذلك في خطبة له بعنوان (بوزيريس

---

(١) **أفلاطون ، ١٩٩٥: محاورة كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ٤١٢ ب، ترجم المحاورة وقدم لها بدراسة تحليلية: عزمي طه السيد، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان ص ١٤٩.**

(٢) **Diogenes Laertius, Lives of Eminent Philosophers, V111,6-8, p 327.**

(٣) **ماجد فخري، ١٩٩١م: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرَقلِس، دار العلم للملايين، بيروت، ص ٢٧-٢٨.**

(٤) **ول ديورانت ٢٠٠١م:** قصة الحضارة، م٣،٤،،حياة اليونان، ترجمة: محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، **ص ٢٩٨.**

(٥) **وقد ذكر مصطفى النشار أن هذه الحقيقة قد اكتشفها بالصدفة أثناء قراءته لمحاورة كراتيليوس لأفلاطون، انظر: مصطفى النشار١٩٩٧م،: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، الطبعة الأولى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٤٩.**

(٦) **أفلاطون، كراتيليوس، ٤٠٩د-ه)، ص ص ١٤٣-١٤٤.**

Bousiris) والتى ألقاها بمناسبة الأعياد الأولومبية عام ٣٨٠ ق.م. وقد رسم صورة فيها كثير من الإطراء لمصر. ويبدو منها أن إيسوكراتيس كان معجبًا بنظام الطبقات المصري، وبحكم الفلاسفة وصرامة وسائل التربية Paideia التي كان يتبعها الفلاسفة/ الكهنة المصريون والتي أنتجت (الأنيرثيوريتيكوس) anertheoretikos (الرجل المتأمل) الذي كان يستخدم حكمته العليا لصالح دولته، كذلك فقد أدى تقسيم العمل إلى وجود وقت فراغ مكن بدوره من التعلم. وفوق هذا فقد أصر إيسوكراتيس على أن الفلسفة (حب الحكمة) Philosophia (فيلوسوفيا) كانت نتاجًا مصريًا ولم يكن ممكنا ألا أن تكون كذلك. حقيقة أن هذه الكلمة (الفلسفة) كان يستخدمها الفيثاغوريون المتمصرون (المنتمون ثقافيًا لمصر) لبعض الوقت- منذ القرن السادس قبل الميلاد- ولكن أحد استخداماتها الأكثر قدمًا والتي ظلت سائدة جاءت من خطاب "بوزيريس"[١].

وإذا كان هذا صحيحا، وهو صحيح في الغالب، فإنه من الضروري أن نكف عن ترديد ما جرى العرف على ترديده حول أن الأصل الاشتقاقي لكلمة الفلسفة يوناني[٢]، بل هو مصري، نقله فيثاغوس من مصر إلى بلاد اليونان، وقد اعترف أفلاطون أن الاشتقاق أجنبي، كما أرجعه **إيسوكراتيس** إلى مصر

٤- زمان ومكان نشأة الفلسفة اليونانية:

برتراند راسل:
"إن مدرسة ميليتوس (Miletus) لا تكتسب خطرها مما أنتجته، بل مما حاولته؛ وهي مدينة بوجودها لاتصال العقل اليوناني ببابل ومصر [٣].

القرن السادس/الساحل الأيوني/بلاد الإغريق الكبرى

يرى جومبرتز- ومعه غالبية مؤرخي الفلسفة- أن الفلسفة بدأت بطاليس وأنه السلف الأكبر (forefather) لكل الفلاسفة. [٤]. وهذا الرأي ليس إلا ترديدًا لرأي أرسطو الذي ذهب إلى أن طاليس هو مؤسس الفلسفة [٥].

لقد بدأ الفكر اليوناني في القرن السادس قبل الميلاد، بطاليس، ولم يكن من بلاد اليونان كما هو متوقع أو حتى مفترض، بل بدأ من آسيا، من المستعمرات اليونانية على ساحل آسيا الصغري الغربي، المعروف بالساحل الأيوني، وهناك التقى الغرب بالشرق. وكانت أهم مدن الساحل الأيوني هي مدينة ميليتوس (Miletus) التي حرف العرب اسمها إلى "مَلَطِيَّة" وهى المدينة التي أخرجت للعالم ثلاثة من مؤسسي الفلسفة اليونانية الأوائل: طاليس (Thales) وأناكسيماندروس (Anaximandros) وأناكسمينيس (Anaximenes)، كما أنجبت مدينة "أفيسوس" (Ephesos) فيلسوفها الكاهنَ ذا اللغة الرمزية الغامضة، وهو هيراكليتوس (Heraclitus)، في حين أخرجت "ساموس" (Samos) عقلها الجبار

---

[١] مارتن برنال ١٩٩٧م: أثينة السوداء (الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية) الجزء الأول، تلفيق بلاد الإغريق (١٧٨٥-١٩٨٥)، تحرير ومراجعة وتقديم: أحمد عتمان، ترجمة لفيف من العلماء، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ص ٢١٢.

[٢] مصطفى النشار ١٩٩٧م: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، الطبعة الأولى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٥٠.

[٣] برتراند راسل ١٩٥٧م : تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، الفلسفة القديمة، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، راجعه د.أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص٦١.

[٤] Gomperz (Theodor), The Greek Thinkers, P46.

[5] Aristotle, 1952: Metaphysics, **, B,1, ch, 3, 983b, 20,** The works of Aristotle, vol.1,Trans by R.P.Hardie and R.K.Gaye, in: Great Books of The Western World, ed by: R. M Hutchins, Vol 8, William Benton Publisher, Encyclopaedia Britannica, Chicago, London**p.501.**

الرياضياتي المتصوف فيثاغورس، (Pythagoras)، بينما أهدتنا مدينة "كلوفون" فيلسوفها الإلهي الموحد إكسينوفانيس(Xenophanes) . وهؤلاء هم أوائل المفكرين الذين أنجبهم هذا الساحل في القرن السادس قبل الميلاد، وهم المفكرين الذين تشكلت علي أيديهم الفلسفة اليونانية كلها حتى عصر أفلاطون وأرسطو، أي حتى القرن الرابع قبل الميلاد. ثم انتقلت الفلسفة بعد ذلك إلى صقلية وجنوب إيطاليا أي ما يعرف "ببلاد الإغريق الكبرى"(Magna Graecia).

لقد بدأ الأيونيون بطاليس تاريخ الفلسفة الغربية، ولنا أن نتساءل- مع **توملين**- كيف لأناس قاموا باتصالات على التوالي مع المصريين والفينيقيين والبابليين والكلدانيين ، وهي شعوب متباينة في عاداتها ولغاتها وأنماط حياتها، كيف يمكن أن يفشلوا في عقد مقارنة مع بعضهم بعضًا، وبعد المقارنة يصدرون حكمًا، وبعد إصدارهم الحكم يقومون بالتنسيق؟[١].

وفيما يأتي من البحث سوف نقصر المقارنة على هؤلاء الفلاسفة، أي فلاسفة القرن السادس قبل الميلاد؛ في كل من الساحل الأيوني، و "بلاد الإغريق الكبرى"، دون غيرهم، وبذلك نكون قد حددنا مجال البحث زماناً ومكانًا .

٥- الاتصال بين مصر واليونان

أفلاطون : القسم بالكلب أنوبيس (Anubis) الإله المصري:

يقول سقراط:

"بعد أن رأى الأثينيون أنه من الأفضل أن أدان، رأيت أنا من جانبي لهذا السبب أنه من الأفضل كذلك أن أجلس هنا، وأنه من الأعدل أن أتحمل ببقائي هذا الحكم الذي أصدروه، فقد كان يمكن وحياة الكلب (وأقسم بكلب مصر!) أن تكون هذه العضلات وهذه العظام منذ وقت طويل في ميجارا أو في بوؤتيا"[٢].

"سقراط: وإني لأسأل نفسي وحق الكلب؛(وأقسم بكلب مصر)" [٣].

"سقراط: وحق الكلب إله مصر.." [٤].

يشير سقراط بعبارة "كلب مصر" إلى (أنوبيس)، إله الجبانة والشخصية الأبرز في كتاب الموتى. ويتكرر القسم لتأكيد صدق القضية التي يتحدث بشأنها، وللدلالة على أن النتيجة التي سوف يتوصل إليها سقراط بشأن القضية التي يطرحها نتيجة صادقة وفاصلة بقدر صدق أنوبيس وفصله في اعترافات الموتى في العالم الآخر[٥].

على ذلك يمكن القول أن الاتصال بين مصر واليونان كان قويًا وعميقًا إلى درجة أن سقراط يقسم بالآلهة المصرية دون أن يعترض عليه مستمعوه قائلين له: لمَ تُقسم- يا سقراط- بآلهة غير يونانية؟! بل يبدو أن سقراط وأفلاطون (ومعهم قراء محاورات أفلاطون) يعرفون **الإله** الذي يقسم به سقراط معرفةٌ تامة.

ويمكن أن ندعم ذلك بالدراسات التي بحثت العلاقات بين مصر وبلاد الإغريق، والتي قررت أنها تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد. ويذكر آرثر إيفانز (A. Evans): "إن دَيْن كريت لعصر ما قبل الأسرات المتأخر، وأوائل عصر الأسرات في مصر قد تم إثباته بكم هائل من الدلائل الأثرية"، بل إن الحضارة المصرية قد أثرت على حضارة بحر إيجة في الألف الثالثة قبل الميلاد[٦].

---

(١) ه. فرانكفورت وآخرون ١٩٨٠م: ما قبل الفلسفة، الطبعة الثانية، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ٢٢٥.

(٢) أفلاطون ١٩٧٩م : فيدون (في خلود النفس) ، فقرة ٩٩ أ، ترجمها عن النص اليوناني مع مقدمات وشروح: عزت قرني، مكتبة الحرية الحديثة، جامعة عين شمس، القاهرة، ص ١٩٥.

(٣) أفلاطون ١٩٧٠م: جورجياس، فقرة ٤٦٦ ج- ترجمها عن الفرنسة محمد حسن ظاظا، راجعها: على سامي النشار، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ، ص ٥٩.

(٤) أفلاطون: جورجياس، فقرة ٤٨٢ ب، ص ٨٧.

(٥) مجدي كيلاني: الفلسفة اليونانية، ص ٤١٣

(٦) أحمد عتمان: مقدمة كتاب مارتن برنال: أثينا السوداء، الجزء الأول، ص ٣٦.

٦- تيار الحكمة يبدأ من النيل

هنرى توماس:
"يمكن إرجاع أصل كل التفكير الحديث إلى حكماء المصريين؛ وذلك عن طريق أفلاطون والفلاسفة اليونانيين الآخرين؛ فقد أخذ اليونانيون فلسفتهم عن الشرق، وأخذ الغربيون فلسفتهم عن اليونانيين. وهكذا انساب تيار الحكمة عبر الأجيال من غير توقف مبتدئًا بالنيل؛ فنجد مثلاً ما ورثنا إياه أفلاطون وأرسطو، في فلسفة بتاح حوتب، وما تركه لنا شوبنهاور وتولستوي من تراث في حكمة إيبو- ور، كما نجد وحي سبينوزا وكانط في رؤى اخناتون"[١]

ارتبطت الأصول الأولى للحضارة الإغريقية بقدوم الأجانب إليها، وكان الإغريق يشعرون تجاههم بشيء من الامتنان"[٢]؛ وما اصطلح الباحثون على تسميته باسم (الغرب) إنما ولد في (ما بين النهرين ومصر) [٣]. وعلى ذلك فلم يك كل ما في الثقافة الإنسانية من إبداع الإغريق والهللينية؛ وقد أشاد الإغريق أنفسهم بالحكمة المصرية[٤].

لقد استندت الجهود الأولى للفلاسفة الإغريق على التراث المصري، وانحصر نشاطها على نطاق واسع في إضفاء طابع عقلاني أو- إذا شئنا- طابع علماني على الأساطير القديمة التي ولدت على ضفاف النيل، هكذا نشأ جيل جديد من البشر سوف يواصل المسيرة لإبداع أفكار أخرى[٥]. ولقد كانت مصر أم الحضارات المعروفة بالحضارة الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) فهى تسبقها وتلقي عليها ضوءًا جديدًا[٦]. ومحاولة هذا البحث ليست إلا الطموح إلى إلقاء أضواء جديدة على مشكلة أصل نشأة الفلسفة اليونانية.

بعد أن انتهينا من تحديد "المنطلقات النظرية" والتي تمثل بنية نموذج الإسهام الحضاري الذي يتبناه البحث، يمكننا أن نشرع في عقد المقارنات النصية؛ أي التي تستند بشكلٍ أساسٍ على النصوص؛ وكذلك تعتمد في بنيتها العميقة على الأسس النظرية التي ذكرناها آنفًا والتي سوف نحاول أن نلتزم بها خلال المقارنات الآتية:

---

[١] هنري توماس ، ١٩٦٤ : أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ترجمة: متري أمين، مراجعة وتقديم : زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ٤.

(2) Hegel(G.W.F) , 1972: The Philosophy of History. tran. by J. Sibree, Dover Press., Londonp, 228.

[٣] كلير لالويت: نصوص مقدسة، ص ٢٢

[٤] روجيه جارودي ٢٠١٣م: في سبيل حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص١٧.

[٥] بيير جريمال: مقدمة نصوص مقدسة، ص ١٤.

[٦] كلير لالويت: نصوص مقدسة، ص ٢٢

ثانيًا: الإسهام الحضاري المصري
(التأييد النصي)

تمهيد حول أصل العالم؟

يبدو العالم- رغم تعدد مظاهره وكثرتها- كلاً واحدًا قابلاً للفهم. ومن فحص النصوص ومما نعرفه عن الفكر المصري المبكر، يبدو واضحاً أن واضعيه من الكهنة قد اشتركوا في مناقشة كيف بدأ العالم، أعني من الذي أنشأه؟ وأيّا كان موقفنا من أسلوب تعبيرهم، فنحن لا نستطيع أن ننكر أنهم كانوا يتناولون بحث مسألة معقولة وبالغة الأهمية؛ وهى مسألة مازلنا في زماننا لا نستطيع أن نقدم لها إجابة حاضرة [١].

تؤكد بعض الأساطير استمرارية العالم المخلوق، ويفسر بعضها الآخر كيف ظهر هذا العالم. وتلك هى نظريات نشأة الكون. ولما كان كل معبود هو المحرك الأساسي للآليات الكبرى التي تُسيِّر العالم، فهو يرى في معبوده الإله الخالق. وتختلف الأساليب المستخدمة لكي يوجد العالم ويبقى، من نظرية لاهوتية إلى أخرى حسب السمات الخاصة بالإله المحلي، ورغم أن الأدوات المستخدمة والأرباب تختلف على الصعيد الوظيفي من خلال أسمائها وأشكالها وأساليب عملها، إلا أن المبدأ الذي يحركها واحد، ويكشف عن وحدة تفكير عميقة[٢].

رغم التناقضات الظاهرية العديدة التي يمكن أن نجدها في وفرة كبيرة من التعبيرات منذ وقت مبكر في "نصوص الأهرام" أو "نصوص التوابيت" أو "كتاب الموتى" حول "مفاهيم الإله في مصر القديمة: الواحد والمتعدد"، فلقد كان حل هذه التناقضات فيما يتعلق ببدء الخليقة، في أن أصل الوحدة الإلهية أفرز شيئًا من جوهره، سواء بالبصاق أو العرق أو الدموع، أو المنِيّ، أو حتى الكلمة التي خرجت من فمه، فقد نتج من الواحد أول ثنائي إلهي، ثم كان التعدد (الثالوث، والثامون والتاسوع)، أي أن التعددية والوفرة في أشكال الإله كانت مستمدة من وحدة أصلية[٣].

إن وحدة التفكر العميقة هذه التي بدأها المفكرون الأوائل من المصريين القدماء، وذلك المبدأ الواحد هو ما أخذه الفلاسفة اليونانيون عن نظريات الخلق المصرية المتنوعة المتعددة؛ فلقد أخذ كل فيلسوف بالرواية التي تتفق ونمط تفكيره الشخصي والقومي، وحسب المبدأ الواحد الذي ارتأى أن عقله يقر به؛ ويعتمده أكثر من أي مبد آخر يخالفه؛ كمادة أولى أو أصل أول بدأ به الكون، وإليه كما هو مفترض- في نهاية الدورة الكونية- يعود. ولنبدأ بطاليس:

---

[١] أ.ف.توملين: فلاسفة الشرق، ص ٣٨.

[٢] إيزابيل فرانكو ٢٠٠٥م: أساطير وآلهة (نفثات رع إله الشمس)، ترجمة حليم طوسون، مراجعة: محمود ماهر طه، المشروع القومي للترجمة رقم (٦٥٥)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص ٩١.

[٣] إريك هورنونج ٢٠١٠،: أخناتون وديانة النور، ترجمة وتقديم: د.محمود ماهر طه، سلسلة مصريات رقم ٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ص ١١٨-١١٩.

١- طاليس (Thales) (حوالي ٦٢٤-٥٤٦ ق.م.):

المحيط الأزلي نُونْ Nun عند المصريين "إنه المياه، النون أبو الآلهة"[١] " الإله العظيم الذي جاء إلى الوجود وحده "هو الماء، إنه نون، والد الآلهة"[٢]. "أنا آتوم حينما كنت وحيدًا في نون"[٣]	الماء (هيدور: ὑδωρ) عند طاليس - الماء هو العنصر الأول للموجودات، وأن العالم حي وزاخر بالكائنات المقدسة daimones [٤]. -"كل شيء مملوء بالآلهة" πάντα πλήρη θεων،[٥]

- **تحليل النصوص المصرية القديمة: النُونْ Nun**

أفادت النصوص المصرية القديمة السابقة باستدعاء الخالق الأول حينما كان (آتوم) إله هليوبوليس على رابية قديمة ظاهرًا منها المياه الهيولية، وهناك أتى بالآلهة إلى الوجود[٦]. ويؤكد علم اللاهوت بمدينة هليوبوليس أن الفوضى البدائية وُجدت مع نشأة العالم وصُورت على هيئة خضم مائي خامل، والتي لم يكن لها أي دور فعال في عملية الخلق. ثم أشرقت الشمس من "نون" ولكنها لم تخلق من ذاته. وبفضل قوتها خلق إله الشمس (آتوم) وأطلق عليه "من خلق بذاته" أو "من أوجد نفسه". بينما يؤكد علم اللاهوت لمدينة الأشمونيين أن "**نون**" يعتبر عنصرًا فعالاً وخلاقًا ومعه شقه الأنثوي "**نونت**" حيث يمثلان عنصر المياه الأولية، ويكونان زوجًا من أربعة أزواج لثامون الأشمونيين[٧]. كما استعمل المصريون كلمة "**شن-ور** shen- wer" أي "المحيط العظيم". وتبدو أنها كانت النموذج الأصلي لكلمة "أوكيانوس okeanos" اليونانية[٨].

---

(١) **بول بارجه ٢٠٠٤م،: كتاب الموتى للمصريين القدماء نفصل ١٧، قام بكتابة المقدمة والترجمة من اللغة المصرية إلى اللغة الفرنسية، وكذلك التعليق: بول بارجه، وقام بترجمة النص الفرنسي إلى اللغة العربية :ز كية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٥١.**

(٢) **جيمس بريتشارد ١٩٨٧م: نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم، الجزء الأول، الأساطير والقصص والنصوص الجنائزية المصرية، تعريب وتعليق د. عبد الحميد زايد، مراجعة، د.محمد جمال الدين مختار، وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ص ص ٣٥-٣٦.**

(٣) **حسن صابر: متون الأهرام المصرية القديمة: فقرة ٥٧٧، المصدر السابق، ص ٣٥٦.**

(٤) **ديوجينيس اللائرتي ٢٠٠٦م : حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الأول، ترجمة وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، راجعه علي الأصل اليوناني: محمد حمدي إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص ٢٧.**

(٥) **أفلاطون: القوانين، ص٤٧٠. وانظر أيضًا: Plato, 1926, Laws. Book x, 988,B,**

(٦) **جيمس بريتشارد: نصوص الشرق الأدنى، ص ٣٣.**

(٧) **ماريو توسي وكارلو ريو ردا ٢٠٠٨م: معجم آلهة مصر القديمة، ترجمة ابتسام محمد عبد المجيد، مراجعة وتقديم د. محمد ماهر طه، سلسلة مصريات رقم ٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ص ١١٦-١١٧.**

(٨) **بيرون شيفر (المحرر) ٢٠١٢م: الديانة في مصر القديمة، ترجمة وتقديم: د.محمود ماهر طه، سلسلة مصريات (١٠) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ١٥٥.**

- **تحليل نصوص طاليس: الماء: المادة الأولى**

طاليس في مصر

رحل طاليس إلى مصر حيث اجتذبت اهتماماته آراء فلكية ورياضية جديدة[١] فتعلم الهندسة على أيدي المصريين، فهو أول من رسم مثلثًا قائم الزاوية داخل دائرة، وعلى أثر ذلك ضحى للآلهة بثور[٢]. لم يكن لطاليس معلم، فيما عدا أنه ذهب إلى مصر، وأمضى هناك فترة من الوقت للدراسة مع الكهنة [٣].

أما عن تحليل نصوص طاليس وشذراته الباقية فإن التاريخَ والتراثَ صامتان لا يقولان شيئًا عن الكيفية التي توصل بها طاليس إلى أن المادة الأولى هى الماء، فيما عدا أرسطو الذي حاول أن يعطينا سببًا معقولاً لقول طاليس بالماء ويتلخص في أن طاليس تأثر بالضرورة بالنظر في رطوبة الغذاء، وأنه بنى النتيجة التي انتهى إليها على أساس تفسير عقلاني لأسطورة أوكيانوس؛ بيد أن هذا ليس سوى تخمين من جانب أرسطو حسب الرأي الشائع[٤].

كان القول بأن أصل العالم هو الماء مألوفًا عند القدماء حيث ورد عند هوميروس في أكثر من موضع عندما يقول[٥]:"إن أوكيانوس (المحيط) هو الذي جاء من نسله كل الآلهة "[٦] وفي موضع آخر يذكر[٧]:"أن أوكيانوس هو الأب الأول لكل الآلهة" أو أن "جداول نهر أوكيانوس ذاتها هى التي انحدرت منها الأشياء كلها" [٨].

كما ذكر أفلاطون في محاورة كراتيليوس Kratylos أسطورة "التكوين" Genesis التي تدارسها سقراط مع محدثيه حول ما يقوله فيلسوف أفيسوس "هيراكليتوس" (بأن جميع الأشياء في حركة ولا شيء ساكن، وقد قرنها بمجرى النهر وقال بأنك لا يمكن أن تنزل في نفس الماء مرتين) وحول أن أصل العالم هو الماء أو الأوكيانوس كما يرى هوميروس وهسيودوس وما رواه أورفيوس أن أوكيانوس كان أول من تزوج، حيث زُف إلى أخته تيثيس(Τεθης)[٩].

هذا ما أشار إليه أرسطو قائلاً: "اعتقد البعضُ أن القدماء الذين عاشوا قبل الجيل الحالي بزمن طويل، والذين كانوا أول من ذكر روايات عن الآلهة، كانت لديهم وجهة نظر مشابهة عن الطبيعة، لأنهم جعلوا

---

(١)جورج سارتون ١٩٩١م: تاريخ العلم، الجزء الأول، ترجمة: لفيف من العلماء بإشراف د.إبراهيم بيومي مدكور، دار المعارف، القاهرة، ص ٣٦٠.

(٢) ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، فقرة، ٢٤.

(٣) حياة مشاهير الفلاسفة، فقرة ٢٧.

(٤) جورج جي. أم.جيمس ١٩٩٧م: التراث المسروق، الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ص ٦٤.

(5) Homer: The Iliad, **14.201**, rendered into English Prose by Samuel Butler, in Great Books Of The Western world , Vol 4 , Benton Publisher , Chicago 1952.

(٦) هوميروس ٢٠٠٨م: الإلياذة، كتاب ١٤، بيت ٢٠١، طبعة ثانية، تحرير ومراجعة د.أحمد عتمان، المشروع القومي للترجمة ، رقم ، ٧٥٠، القاهرة، ص ٤٦٤.

(7) Homer: The Iliad, **14.246**.

(٨) هوميروس: الإلياذة، كتاب ١٤، بيت ٢٤٦ ، ص ٤٩٦.

(٩) أفلاطون ١٩٩٥: محاورة كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ٤٠٢ أ،ب،ج، ترجم المحاورة وقدم لها بدراسة تحليلية عزمي طه السيد، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ص ١٤٩.

من أوكيانوس (Ocean) ومن تيثيس (Tethys)[١] أبوين لجميع المخلوقات. ووصفوا قَسَمَ الآلهة بأنه كان يتم بجوار الماء الذي أسموه هم أنفسهم "ستوكس"Styx [٢]؛ لأنه أقدم الأنهار وأكثرها احترامًا وهو أعظم الأشياء احترامًا فهو الذي يقسم به المرء. وربما كان هناك شك فيما إذا كان هذا الرأي عن الطبيعة رأيًا بدائيًا وقديمًا. غير أنه يقال إن طاليس، على أيه حال، أعلن ذلك بنفسه عن المبدأ الأول[٣].

- **النتيجة**

يرجح الباحث رأي طاليس بأن كل الأشياء مصنوعة من الماء، الذي يدخل في تركيب كل شيء، مأخوذ مباشرة من فكرة أصل تكوين العالم عند مدرسة هليوبوليس الدينية؛ والتي تقول أنه في البداية كان رع إله الشمس قد خرج من الماء الأزلي "نون". وقد دلت الأبحاث الدقيقة أن "نون" المصري يقابل بالضبط عند الإغريق "كايوس" التي تعني الماء الذي لا قرار له، ومن ثم نرى أن التأثير المصري واضح تمامًا في طاليس وأنه نقل الفكرة عن مصر[٤]. وتري كاثلين فريمان: أن ذات نص أرسطو- الذي نقلناه آنفًا- يفيد بأن يكون طاليس قد أخذ هذه الفكرة من الأساطير المصرية عن أصل الخليقة[٥].

لا تتنافى آراء طاليس الطبيعية- كما يقول جورج سارتون- مع أسطورة الأوكيانوس أو الكونيات المصرية القديمة، ولعله تصور نفسه يُعقِّل هذه الأساطيرَ القديمةَ ويفسرها"(٦).

تؤكد المقارنة النصية على سبق الفكر المصري القديم بطرح فكرة أن أصل العالم والمادة الأولى التي نشأ منها الكون هى الماء. وإذا كان أول الفلاسفة قد زار مصر وتعلم من كهنتها ونهل من حكمتها- وبطريق مباشر- فإن هذا يدل على عمق الإسهام الفكري المصري القديم في الفلسفة اليونانية، وأثره على أول فيلسوف بدأ به تاريخ الفلسفة اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد، ومن ثم على فيلسوفي المدرسة الميليتية الآخَرَيْن: أنكسيماندروس وأناكسيمينيس، كما سوف نرى فيما يأتي:

٢- أناكسيماندروس (Anaximandros) (حوالي٦١١-٥٤٦ ق.م.):

الثامون الهيولي (Eight Chaos-gods)[٧] عند قدماء المصريين	**الأبيرون (τό ἀπειρον)عند أناكسيماندروس**
"أنتم أيتها الآلهة حح Heh (الفوضى، أو التشوش) الثمانية" [١].	الأبيرون ، أو "اللانهائي" أو "اللامحدد"، كمبدأ أول

---

[١] نثيس إلهة من أقدم آلهة العالم في أساطير اليونان، وهي تجسيد لخصوبة الأنثى في الماء ابنة أورانوس (السماء) وجيا (الأرض) تزوجت من شقيقها "أوقيانوس" وأنجبت منه أكثر من ثلاثة آلاف فتاه هي التي نسميها أنهار العالم راجع: إمام عبد الفتاح إمام ٢٠٠٥م: مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر، القاهرة، هامش ص ٢٦٢.

[٢] ستايكس: نهر مقدس أوكيانوس في العالم الآخر ذكره الشاعر هزيود في أنساب الآلهة، وهو أقدم بنات أوكيانوس وتثيس . راجع: إمام عبد الفتاح إمام: مدخل إلى الميتافيزيقا، هامش ص ٢٦٢.

[٣] أرسطو: الميتافيزيقا، فقرة ٩٨٤، ص ٢٦٣.

[٤] سليم حسن ٢٠٠٠م: مصر القديمة، الجزء الرابع عشر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ص ٥٥.

[5] **K. Freeman** 1959: The Pre-Socratic philosophers, 2nd ed. Basil Black Well Oxford, **p.53.**

[٦]جورج سارتون: تاريخ العلم، ص ٣٦٥.

[٧]

Faulkker. 1973**, Spell 76 ,**The Ancient Egyptian Coffin Text, Trans By, Faulkker: vol 1 Spells 1-354, Aris& Phillips, Warminster, England. P P 77-78

والترجمة العربية في :
بيرون شيفر (المحرر): الديانة في مصر القديمة، ص، ١٢٥.

"لقد جئت إلى الوجود من "الهيولى"[٢] "أقدم مجمع للآلهة كان يتكون من: نو Nu ونوت Nut (هما المياه الأزلية الراكدة) ، وحيحو Hehu وحيحوت Hehut (هما اللانهاية واللاتشكل)، وكيكوي Keki وكيكويت Kekuit (هما الظلام) و كيره Kerh وكيرهيت kerhet (الليل البهيم؟) [٣]	أو عنصر أول للعالم، أو مادة أولى للكون. " إنه- الأبيرون- يحوي كل شيء ويتسلط على كل شيء". إن"اللامتناهي هو الموجود الإلهيّ؛ مادام أنه خالد وغير قابل للفساد"[٤].

- **تحليل النصوص المصرية القديمة: اللانهائي أو اللامحدد في "خيمنو": مدينة الثمانية**

كان أقدم نظام لا هوتي مصري، هو الذي وجد في مدينة هرموبوليس أو الأشمونيين، المشتق من الاسم المصري القديم (خيمنو- شيمنو) وهو نظام ضم ثمانية أعضاء، ولذلك سمى بالثامون (Ogdoad) [٥]. وهو أقدم مجمعات آلهة مصر[٦]. كان هذا المذهب أقل ذيوعًا في البيئات الشعبية من مذهب مدينة الشمس (أون)، ولكنه صادف نجاحًا عظيمًا واحترامًا قويًا في أوساط الخاصة والمثقفين، لأنه اشتمل على عنصر فلسفي مهم كما احتوى بعض الآراء الطبيعية القيمة. ولقد ظل المثقفون والذين يعنون بالتفكير الفلسفي ينظرون إليه بهذه العين نفسها حتى نهاية العصور المصرية القديمة[٧].

إن أسماء آلهة الثامون مسجلة بشكل متناقض، في عدة نصوص: فنص الأهرام رقم (٣٠١)، ذكر اثنين من هذه الأزواج هما: نو Nu ونوت Nut و "آمون" و "آمونيت"[٨]. في حين تذكر التعويذة (٧٦) من نصوص التوابيت[٩] أسماء الأزواج الأربعة مستبدلة اسم "تنن" Tenen بآمون في القائمة الأساسية. وكذلك يربط هذا النص الثامون ببعض آلهة التاسوع مثل شو وغيره[١٠].

هذا الثامون هو آمون وأمونيت (يمثلان الخفاء)، وحيحو Hehu وحيحوت Hehut، (هما اللانهاية واللاتشكل)، الذي يجب أن يؤخذ على الأرجح على أنه ما لم ينته بعد. والواقع أن لفظ "حح" يجسد على ما

---

(١) بيرون شيفر (المحرر الديانة في مصر القديمة ، ص، ١٢٥.

(٢) والاس بدج: كتاب الموتى الفرعوني: الفصل ٨٣، ص، ٩٣.

وانظر:

Book of The Dead, 1898, chap lxxxviii, tr. By.Wallis Budge, Routledge & Kegan Poul LTD, London, p 148.

(٣) والاس بدج ١٩٩٨م: آلهة المصريين: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ٣٢٤.

(٤) أرسطو، ١٩٣٥م،: علم الطبيعة، ك٣، ب، ٤ ترجمه إلى الفرنسية: بارتلمي سانتهلير، نقله إلي العربية: أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ص١٦٣. وانظر أيضًا:

Aristotle, 1952.: Physics, **B, 3, ch 4, 203b, 5-14,** The works of Aristotle, vol.1, Trans by R.P.Hardie and R.K.Gaye, in: Great Books of The Western World, ed by: R. M Hutchins, Vol 8, William Benton Publisher, Encyclopaedia Britannica, Chicago, London . p.281.

(٥) جورج بوزنر وآخرون ١٩٩٦م: معجم الحضارة المصرية القديمة، الطبعة الثانية، ترجمة: أمين سلامة، مراجعة: د. سيد توفيق ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ص ١١٨.

(٦) والاس بدج: آلهة المصريين: ص ٣٢٣.

(٧) محمد غلاب ١٩٣٨م: الفلسفة الشرقية، مطبعة البيت الأخضر، القاهرة،ص ص ٤٧-٤٨.

(٨) حسن صابر: متون الأهرام المصرية القديمة، نص رقم ٣٠١، ص ص ١٦١-١٦٢.

(9) Faulkker, Spell (76) The Ancient Egyptian Coffin Text**, PP 77-78**

والترجمة العربية في بيرون شيفر: الديانة في مصر القديمة، ص، ١٢٥.

(١٠) بيرون شيفر: الديانة في مصر القديمة، ص، ١٠١.

يبدو في آن واحد ما يفصل السماوات عن الأرض، وتتابع السماوات الذي لا ينتهي، ويمثل "حح" أبعادًا للعالم الكامن أصلاً قبل أن يتحقق، ولن يكشف عن وضعه المكتمل إلا في العالم الفعلي، بيد أنه يظل مرتبطًا على أية حال بلا نهائية الزمان والمكان التي لا يمكن إدراك حدودهما. ويعبر كيكوي وكيكويت عن فكرة الظلمات[١]. ويرتبط كيانا "تنمو" و"تنموت" بالتعبير عن كل ما هو متحرك ومبهم، وتشير الدلائل المتأخرة على أن "نياو" "ونياوت" أخذا مكانة "تنمو" و"تنموت" اللذين يمثلان على ما يبدو الفراغ. ويحل أحيانًا "آمون" و"آمونت" محل ذلك الزوج الأخير وهما يمثلان دور الخفي[٢]. وقد يبو الكيان نون، الذي يشكل جزءًا لا يتجزأ في المجمع الإلهي، مبدأ ذلك الخليط [٣]. وتعد التعويذة رقم (٧٦) من نصوص التوابيت فريدة، وغير عادية بأن جعلت شو يخلق الثامون، مع أنه لم يكن هناك رئيس للثامون من قبل؛ إذ يعزى الخلق عادة إلى آتوم (الكامل، التام). ومن هذه المعبودات الثمانية جاءت بيضة تحمل الإله المسئول عن خلق جميع الآلهة الأخرى والبشر والحيوانات والنباتات إلخ[٤].

إن التوفيق بين الآراء المختلفة لعلماء المصريات الخاصة بهذه الأزواج الأربعة من الآلهة السابق ذكرها مهمة غير بسيطة[٥]. ومع ذلك يبدو أن الوصف المميز لها- في جميع الصور- هو اللاتشكل واللاتعين واللانهائي؛ وعلى أية حال فإن هذه الأسماء تستعيد إلى الأذهان "المشهد الطبيعي"- وهو مشهد إلهي لانهائي - الأول للعالم؛[٦]. وكما يبدو لنا من النصوص لا توجد أي أفكار محددة عن مكان هذا التجمع، أو أنّ له أبعادًا يمكن التعبير عنها بطرق القياس المعروفة[٧]. (إنه اللامحدود أو اللامتعين أو هو- بلغة اناكسيماندروس- الأبيرون!):

- **تحليل نصوص اناكسيماندروس: الأبيرون (τό ἀπειρον) كمبدأ أول**

إن المبدأ الأول عند اناكسيماندروس يتجاوز المادة، فليس هو الماء(ὑδωρ) كما قال طاليس، وليس الهواء(ἀήρ) كما سيقول أناكسيمينيس، أو النار(πῦρ) كما سيقول هيراكليتوس من بعد، بل وليس هو عنصرًا من العناصر الأربعة كما سيرى امبادوكليس مضيفًا التراب (γῆ) [٨] ولا يمكن تحديده لأنه اللامتناهي [٩]: " الأبيرون هو المادة الأولى للأشياء الكائنة، وأيضًا فأنه الأصل الذي تستمد منه الموجودات وجودها، وهو الذي تعود إليه عند فنائها، طبقًا للضرورة". وهذا اللانهائي أزلي "و"خالد لا يفنى".

لقد أثار أبيرون أناكسيماندروس، أصل كل الأشياء، جدلاً واسعًا بين الشراح. ورأى أرسطو أن دراسة اللامتناهي تتعلق بعلم الطبيعة، وينبغي الثناء على الفلاسفة- كما يقترح أرسطو- بأنهم جعلوا من اللامتناهي أحد مبادئهم. ولا يخفي أرسطو إعجابه بأناكسيماندروس ويشرح الأبيرون شرحًا وافيًا في كتاب "الطبيعة": " وفي الحق أن اللامتناهي لم يكن باطلاً، ولا يمكن أن يعطي طبعًا إلا طبع المبدأ؛ لأن الكل يجب أن يكون إما مبدأ أو نتيجة مبدأ، واللامتناهي لا يمكن أن يكون له مبدأ لأنه حينئذ يكون له حد يصيره متناهيًا. وإذًا فهو مبدأ ولا يمكن أن يكون إلا هذا. زد على ذلك أن اللامتناهي بما هو مبدأ يلزم أن يكون غير مخلوق وغير هالك، لأن كل ما قد خُلق يجب أن يكون له نهاية ولكل هالك أجل. و اللامتناهي

---

[١] بيرون شيفر: الديانة في مصر القديمة ، ص، ١٠١.
[٢] إيزابيل فرانكو: آساطير وآلهة، ص ١٠٠.
[٣] إيزابيل فرانكو: آساطير وآلهة ، ص ١٠١.
[٤] بيرون شيفر: الديانة في مصر القديمة ، ص، ١٠١.
[٥] والاس بدج: آلهة المصريين: ص ٣٢٨.
[٦] كلير لالويت:نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ص ٣٥.
[٧] والاس بدج: آلهة المصريين، ص ص ٣٢٤-٣٢٥.
[٨] والاس بدج: آلهة المصريين ، ص ٥٦.
[٩] مجدي كيلاني: الفلسفة اليونانية، ص١٩.

لا يمكن أن يكون له أجل على أي وجه كان. حينئذٍ هو ليس له مبدأ وإنما هو، على ضد ذلك، مبدأ لسائر البقية. " إنه يحوي كل شيء ويتسلط على كل شيء" كما يقول أولئك الذين لا يعترفون وراء اللامتناهي بعلة سواه ولا يلجئون إلي تدخل العقل (νους) أو العشق (φιλια). هؤلاء الفلاسفة يقولون أيضًا إن اللامتناهي هو الموجود الإلهيّ ؛ مادام أنه خالد وغير قابل للفساد، كما يقول أناكسيماندروس"[١].

يمكننا أن نرجح- مع إميل برهييه- أن اللامتناهي يعد شكلاً ميليتيا من الأسطورة الهسيودية عن الخاؤس (Χαος)، السابق على الآلهة، وعلى الأرض والسماء، مثله في ذلك مثل دعوى طاليس التي ترتكز على نظرية قديمة عن نشأة الكون. في هذه الحالة سيكون اللامتناهي هو ذلك الشيء اللامتعين كيفًا الذي منه تولد الأشياء المتعينة، من نار وماء إلخ. أو على أية حال ذلك المزيج الذي فيه تختلط جميع الأشياء التي لا تلبث بعدئذ أن تفترق لتؤلف العالم. لكن يبدو بالأحرى أن اللامتناهي كما قال به أناكسيماندروس هو اللامحدود كمًا، هو ما لا تخوم له، بالتعارض مع العالم المحتوى ضمن تخوم السماء، وذلك مادام هذا اللامتناهي يحتوي العوالم والأكوان التي تولد وتفنى في خضم اللامتناهي الأزلي الأبدي[٢].

إن الشعور بالذنب والخطيئة الكونية هي محض أفكار أورفية ، بل ومازلنا نلمح صدًى لمواقف هوميروس وهسيودوس وللاهوت الأوليمبي عن الكون، وخصوصًا فكرة المـــويرات (Moirai)، أي إلهات القدر والمصير اللاتي تحددن حتى للآلهة مصيرهن، فكذلك حال العناصر التي تنشأ عن الأبيرون والتي يتكون منها العالم في نظام أناكسيماندروس الكوني يماثل مركز الآلهة في اللاهوت الهوميري، وأن لها حيزًا لا تتعداه، كما يقول كورنفورد[٣].

- **النتيجة**

نلاحظ- أولاً- أن هذا النظام الذي يمثله الثامون المصري القديم- رغم الخلاف حول أسماء بعض أعضائه- عبارة عن "وَحدة واحدة" لا تنفصل رغم أنها تمثل مبدأين: المبدأ الذكري: (وتمثله ضفادع) ومبدأ أنثوي (وتمثله الحيات)، ومجموع الأزواج الأربعة الذكرية والأربعة الأنثوية يجسد مبدأً واحدًا تعبر تعدديته عن تنوع الوظائف. وقد تقدم تلك الكيانات كلاً باسمها، ولكن الإشارة إليها تتم في أغلب الأحوال بالاسم الجماعي: الثامون، أو الثماني، وهى تمثل الطاقات الكامنة للخليقة والمتضمنة في الخليط الغامض السابق على الوجود[٤]. ونلاحظ- ثانيًا- أن هذا الثامون لم يكن له- ومنذ البداية- رئيس أو إله أعلى [٥]، وهذا يعني أن هذا الثامون كما قلنا هو "وَحْدة واحدة" تمثل حالة الهيولى الأولى أو الخاؤس عند هوميروس وهسيودوس، أو هو الأبيرون كما أسماه أنكسيماندروس بعد أن تم التخلص- عبر العصور- وبشكل تجريدي من تفاصيل ذلك اللامحدود البدائي الأول. وعلى ذلك تكون- وهذا ما نلاحظه ثالثًا- عبقرية أناكسيماندروس قد استخلصت اللانهائي أو الأبيرون من ذلك الثامون، ورغم أن المصري القديم كان يعد الثامون "وَحْدة واحدة" كما ذكرنا إلا أن أناكسيماندروس قد قرر ذلك صراحة؛ ومن ثم يمثل مرحلة أعلى من التجريد؛ وإن بقيت نفس صفات ثامون الأشمونيين للأبيرون اليوناني الذي خلع عليه أناكسيماندروس الصفات ذاتها التي للثامون ومنها صفات الألوهية والخلود، المبدأ والمعاد، الخطيئة والعقوبة.

---

(١) **أرسطو: علم الطبيعة، ، ك٣، ب، ٤ ، ص١٦٣. وانظر أيضًا:**

Aristotle: Physics, B, 3, ch 4, 203b, 5-14, p.281.

(٢) **إميل برهييه ١٩٨٧م: تاريخ الفلسفة، الجزء الأول، الفلسفة اليونانية، الطبعة الثانية، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص ص٦٠، ٦١.**

(3) **F.M. Cornford**,1991: **From Religion To Philosophy**, Princenton University press, Princenton, **p.143.**

(٤) **إيزابيل فرانكو: أساطير وآلهة، ص ٩٩.**

(٥) **والاس بدج: آلهة المصريين ، ص ٣٣٣.**

وإذا كان الهواء أو "شو Shu " هو الذي خلق الثامون،- حسب النص (٧٦) من نصوص التوابيت- أي هو المبدأ الأول والأصل الأول للكون، فإن هذا ما سوف ينادي به تلميذ أنكسيماندروس، وصاحبه والذي ازدهر بعد أستاذه بعشرين عامًا أي حوالي عام ٥٤٥ ق.م، أناكسيمينيس- كما سنرى فيما يأتي:

٣- اناكسيمينيس (Anaximenes) (حوالي ٥٨٨-٥٢٤ ق.م.):

شو (الهواء) Shu[١] عند قدماء المصريين	**أناكسيمينيس: المبدأ الأول هو الهواء (αερ)**
"أنا شو، أبو الآلهة"؛ "أنا الذي أنجبت آلهة اللانهاية مرة ثانية فكان حح، ونون Nun، وتنن Tenen (الظلام الحالك) وكك Kek (الظلام المخيم)، أنا شو الذي خلق الآلهة"[٢] " شو هو الأنفاس الإلهية التي تعطى الحياة للمخلوقات الأرضية"[٣]	"أن المبدأ الأول هو الهواء "وعن الهواء تنشأ الآلهة والأمور الإلهية التي تكون والتي كانت والتي سوف تكون. ومنها تتولد الأشياء الأخرى ". "كما أن النفس لأنها هواء تُمسكنا، كذلك التنفس والهواء يحيط بالعالم بأسره" "يختلف في المواد المختلفة بحسب التكاثف والتخلخل(٤)"

- **تحليل النص المصري القديم: شو، أو الهواء أبو الآلهة**

يرمز "شو" إلى الهواء ، فكان الإله الممسك لقرص السماء فوق الأرض بذراعيه المرفوعتين، فاصلا جب (الأرض) عن زوجته نوت (السماء)، كما كان الأنفاس الإلهية التي تعطى الحياة للمخلوقات الأرضية[٥]. ولقد كون شو مع "تفنوت" أول زوجين، وأولادهما "جب" و "نوت" (الجيل الأول) اللذان أنجبا بدورهما، أوزيريس وإيزيس، وست ونفتيس (الجيل الثاني) كون معهم جميعًا بالإضافة إلى خالق الكون ومبدعه "أتوم" التاسوع الكبير لهليوبوليس. ويمثل شو نفخة الحياة التي خرجت من أنف خالق الكون ومبدعه "آتوم" هذه النفخة تسببت في خفقان قلب الإله واستيقاظ ضميره، وربما تكون الرياح هي (با) روح "شو"[٦].

قد ذكرنا من قبل كيف أن التعويذة رقم (٧٦) من نصوص التوابيت فريدة، وغير عادية بأن جعلت شو يخلق الثامون. فشو إذن أصبح- ربما عبر تطور طويل- هو المبدأ الأول ووالد الآلهة جميعًا. ثم تخلى عن هذه الصفة لغيره من الآلهة ليعود إلهًا ضمن آلهة عديدة.

- **تحليل نص أناكسيمينيس: نشأة العَالَم عن الهواء**

يرى أناكسيمينيس أن كل الأشياء تتكون من الهواء عن طريق التكاثف والتخلخل؛ فالهواء يتحول إلي النار (πῦρ) والتراب (γῆ) بالتخلخل ويتحول إلي الماء (ὕδωρ) بالتكاثف[٧]، وهذا ما يتضح لنا من الشذرة المتبقية من كتبه: "إن الجوهر الأول واحد لا نهائي ولكنه محدد الكيف؛ إنه الهواء، منه نشأت الأشياء الموجودة والتي كانت وسوف تكون، ومنه أيضًا نشأت الآلهة وكل ما هو إلهي وتفرعت باقي الأشياء"[٨].

---

[١] راجع: جورج بوزنر ، وآخرون ،معجم الحضارة المصرية القديمة، ص ص ٢٠١-٢٠٢.
[٢] بيرون شيفر (المحرر): الديانة المصرية القديمة ص، ١٢٥.
[٣] راجع: جورج بوزنر ، معجم الحضارة المصرية القديمة ، ص ص ٢٠١-٢٠٢.
[٤] الأهواني: المرجع السابق، ٦٥.
[٥] راجع: جورج بوزنر: معجم الحضارة المصرية القديمة ، ص ص ٢٠١-٢٠٢.
[٦] ماريو توسي وكارلو ريو ردا: معجم آلهة مصر القديمة، ص، ٨٨.
[٧] مجدي كيلاني: الفلسفة اليونانية، ص٢١.
[٨] أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان، الجزء الأول، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م ، ص٥١.

لقد وصف أناكسيمينيس الهواء اللامحدود بأنه إلهي، ولكنه يجعل هناك آلهةً تنشأ من هذا الهواء، فهل يفرق هنا بين "مستويين من الألوهية" ، ومن ثم لا نستطيع إلا أن نتصور أن تلك الآلهة هي "النجوم التي تجوب آفاق السماء"، كما يعتقد أولف جيجن[1] ؟

الواقع أن ذلك قطع لا يمكننا التدليل عليه وعبارة أناكسيمينيس المبهمة لا تحمل هذا المعنى. وكل ما يمكن قوله أن أناكسيمينيس لا يفرق تفرقةً حاسمةً بين الهواء باعتباره إلهًا وبين الآلهة التي يمكن أن تنشأ عنه فهو أشبه بوَحدة وجود ، يختلط فيها الإله بالعالم. وهذا ما نراه أقرب إلي التفسير من أن نفترض أن الآلهة هي النجوم– وحدها دون سائر الموجودات- التي تجوب آفاق الهواء، كما يظن أولف جيجين.

- **النتيجة**

على هذا الأساس يمكن القول أن هناك تشابهًا بين إله المصريين "شو" و"هواء" أناكسيمينيس؛ الذي جعله المبدأ الأول وأصل الكون فهو "الإله الذي ينتج آلهة" والتي فسرها أولف جيجين بالنجوم التي تجوب آفاق السماء، وهو- أي هواء أناكسيمينيس- الذي يمسك على العالم حياته ولولاه لما تنفست الكائنات الحية، ولحل الموات داخل العالم.

ويعتقد أن أناكسمينيس قد أحرز تقدمًا كبيرًا وأضاف بعدًا يكاد أن يكون طبيعيًا حينما فسر كيف تكونت الأشياء عن الهواء حين أضاف فكرة "التكاثف والتخلخل"، التي أشاد بها مؤرخو الفلسفة اليونانية وعدوها فكرة "علمية" و "تفسير طبيعي" للأشياء وسبق كبير لفلسفة أناكسمينييس التي ابتعدت كثيرًا عن الأسطورة ومنطقها اللاهوتي في إيجاد العالم ونشأته. فهل هذا ما أضافته عبقرية أناكسيمينيس اليونانية إلى خصائص إله المصريين: "شو" القديم؟

إن ذلك التقدم نفسه وتلك الإضافة الجديدة هي ما نأخذه على أناكسيمينيس؛ إذ يجعلنا في حيرة كبيرة إذا تذكرنا نص كلماته؛ وإذا لم ننس الصفات التي أعطاها للهواء باعتباره إلها ينتج آلهة؛ إذ كيف يمكن لنا أن نطبق نظرية "التكاثف والتخلخل" على تلك الآلهة التي ينتجها الهواء بحسبانه إلها كذلك؟!

على أيه حال لننتقل من الكلام عن أناكسيمينيس إلى الكلام عن فلسوف أيوني آخر هو هيراكليتوس الأفسوسي الذي نادى بمبدأ آخر هو اللوجوس (Logos) – النار/الكلمة الإلهية الخالقة المبدعة:

٤- هيراكليتوس الأفسوسي (حوالي ٥٤٠- ٤٧٥ق.م.):

الكلمة الخالقة عند المصريين	**اللوجوس عند هيراكليتوس**
"بتاح فوق العرش العظيم..، بتاح الذي ولد الآلهة... ثم جاء إلى الوجود كالقلب، ثم جاء إلى الوجود كاللسان في صورة (آتوم) الذي نقل الحياة إلى كل الآلهة، وكذلك إلى (الكا) الخاصة بكل منهم عبر هذا القلب.. وعبر هذا اللسان" "كذلك حدث أن القلب واللسان حصلا على التحكم في كل عضو آخر من الجسم، وبذلك التعليم على أنه موجود في كل جسم وفي كل فم لجميع الآلهة وجميع الرجال وجميع المواشي وجميع الكائنات الزاحفة وكل شيء يعيش، وذلك بالتفكير والحكم على كل شيء يرغب فيه". "وإن بصر العيون وسمع الآذان واستنشاق الأنف للهواء قد أصدروا الأمر إلى القلب، وهذا هو الذي سبب مجيء كل فكر تام، وإنه اللسان الذي يعلن ما يفكر فيه القلب". " حقا لقد جاء كل أمر إلهي عبر ما فكر فيه القلب وأمر	"ومع أن هذه الكلمة Logos أزلية، إلا أن الناس يعجزون عن فهمها عند سماعها، كأنهم يسمعونها لأول مرة؛ ذلك أن الأشياء ولو أنها تجري مطابقة لهذه الكلمة، إلا أن الناس يبدون كأنهم لا تجربة لهم بالأشياء، وعندما يصنفون الأسماء والأفعال، كما أفعل ذلك في تفسير الأشياء حسب طبيعتها ونزعها"(١). "الحكمة شيء واحد، إنها معرفة ما به (العقل) الذي تتحرك جميع الأشياء في جميع الأشياء"(٢). "لأن جميع قوانين البشر مستمدة من قانون واحد إلهي، يحكم كما يشاء، ويشمل كل شيء.. بل أكثر"(٣).

---

[1] **أولف جيجن: المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، ترجمة: عزت قرني، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، بدون تاريخ ، ص٣٠٨.**

اللسان"(١).	

- **تحليل النص المصري القديم: مذهب الكلمة الخالقة**

وجد- في بداية التاريخ المصري- اقتراب من المبدأ العقلاني Logos doctrine في الكون؛ لأن الخليقة- في هذا النص السابق- عُوملت بطريقة عقلية(٥). وقد ذكر هنري بريستيد أن هذا النص هو أقدم وأول بحث فلسفي وصل إلينا من إنتاج الحضارة المصرية في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وبذلك يكون قد أعطى لنا صورة من أفكار أقدم بني البشر لم يصل إلينا مثلها مدونة إلى الآن (٦): بتاح فوق العرش العظيم..، بتاح الذي ولد الآلهة... ثم جاء إلى الوجود كالقلب، ثم جاء إلى الوجود كاللسان في صورة (آتوم) الذي نقل الحياة إلى كل الآلهة، وكذلك إلى (الكا) الخاصة بكل منهم عبر هذا القلب.. وعبر هذا اللسان": "إن (بتاح) هو قلب الآلهة ولسانهم. هذا التعبير الخارق للمألوف- على حد تعبير بريستيد- يصبح أكثر وضوحًا لنا عندما نعلم أن القلب معناه "العقل" أو "الفهم". أما "اللسان" فهو رمز للنطق أي للأداة التي تبرز أفكار العقل وتعبر عن أوامره، أي أنها تبرز ما فيه إلى عالم الحقيقة الملموس(٧).

في هذا النص، المعبر عن نظام فلسفي عام عن الكون- كما يقول جون ويلسون[٨]- نجد بتاح، إله منف، هو ذلك الذي يفكر بقلبه ويخلق بلسانه، وهذا مثال شائق لعملية الخلق خارج العدم، وسابقة ممكنة ومحتملة لكل من مفهوم التوراة القديم بأن الإله خلق بالنطق، والعقيدة المسيحية في "الكلمة" فبتاح خلق آتوم وباقي التاسوع بنطق أسمائهم، ولما كان بتاح مساوياً لنون ونونت، آخر أزواج الثامون الكاملة التشوش، فإن نظرية نشأة الثامون والتاسوع ترتبط بشكل الخالق العقلي المجرد تمامًا، الذي يقف بين الفوضى والحدود العليا المادية للكون(٩).

إن خلق العالم هنا قد خطط له عقل الإله، وكانت وسيلة التنفيذ كلمة نطق بها- وهذا استباق مذهل- على حد تعبير جفري بارندر- لعقيدة الإغريق التي ظهرت بعد ذلك بفترة طويلة حول اللوجوس Logos أو الكلمة المقدسة(١٠)

لقد نظر المفكرون المصريون- الذين عاشوا قبل حوالي ثلاثين قرنًا سابقة على الإغريق- إلى المسألة نظرة مختلفة جدًا؛ لقد نادوا بأن الكون نشأ عن الفكر؛ ليس فكرًا عامًا بقدر ما هو فكر من نوع معين، فكر مدرك، هادف أو متجسد، إن العضوين الخالقين لبتاح هما القلب واللسان؛ البؤرتان الخاصتان بالفطنة

---

(٢) الأهواني: فجر الفلسفة، ص، ١٠٣.
(٣)الأهواني: فجر الفلسفة ، ص، ١٠٤.
(٤) الأهواني: فجر الفلسفة ، ص ، ١١٠.
(١) بريتشارد: نصوص الشرق الأدنى، ص ٣٩.
(٥) بريتشارد: نصوص الشرق الأدنى، ص ٣٦.
(٦) هنرى بريستيد ١٩٩٩م: فجر الضمير، ترجمة: د.سليم حسن، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ص ص ٤٩-٥٠.
(٧) بريستيد: فجر الضمير، ص ص ٤٩-٥٣.
(٨)جون ويلسون **١٩٨٠: مصر، بحث ضمن كتاب: ماقبل الفلسفة، الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى،الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ٧١.**
(٩) بيرون شيفر (المحرر): الديانة المصرية، ص، ١٢٧-١٢٨.
(١٠) جفري بارندر ١٩٩٣م: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: د.إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة د.عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، ١٧٣، الكويت، مايو، ص ٤٧.

والتعبير، لذلك فإن كل شيء في العالم هو تجسيد للفطنة المدركة التي جاءت بها إلى الوجود(١). إننا هنا كما وضح بريستيد ندنو كثيرا من عقيدة "الكلمة" التي نجدها في (العهد الجديد) : " في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة مع الله، والكلمة كان الله".
لقد كان المصري شديد الوعي بنفسه وبعالمه؛ فأوجد كونًا يتفق وملاحظاته وتجربته الذاتيتين. ولكن التقدم الذي يثير الاهتمام بوجه خاص هو في محاولة المصري المبكرة جداً لربط الخلق بعمليات فكرية ولفظية بدلاً من عمل جسماني بسيط. وحتى هذه الفلسفة "العليا" وضعت في شكل صوري انبثق عن تجربة المصري للحياة[٢].

- **تحليل نص هيراكليتوس: فلسفة اللوجوس/ الكلمة**

يرى جون بيرنت أن هيراكليتوس يعد من الطبيعيين الأولين، ويمثل امتدادًا للمدرسة الأيونية، وقد نشأ في أيونيا، متصفًا بالنظرة العلمية المادية التي تميز بها أهل مَيليتوس بينما تعد فلسفته ذات نزعة صوفية كرد فعل عنيف ضد العقلية الأيونية والاتجاه الميكانيكي للعلم، كما يقول كورنفورد[٣]. والذي نراه أن هيراكليتوس- بل والمدرسة الملطية الأيونية كلها- يجب أن يعاد النظر في كونها علمية وطبيعية بشكل خالص وتام.
كان أسلوب هيراكليتوس غامضًا ملغزًا، حتى سمى بالغامض وبالمظلم، لقد اصطنع "أسلوبًا نبوئيًا"؛ على غرار أسلوب "سيبولة" (Sibyl) كاهنة الإله أبوللون، إله دلفي، لأنه أسلوب يعتمد على الرموز[٤]. ولذلك فهو هنا لا يختلف عن المفكرين من الكهنة المصريين في شيء، بل لقد كان هيراكليتوس نفسه كاهنًا أعظم، أو "باسيليوس= الحاكم الديني (Basileus)" في معبد إلهة الخصب والتناسل والأمومة أرتميس (Artemis)، التي أهداها نتاج قريحته، وإن كان قد تخلى عن هذا المنصب لأخيه الأصغر منه فيما بعد [٥].
اللوجوس هو حجر الزاوية في فلسفة هيراكليتوس وهو الذي يسميه أحيانًا زيوس(Zeus). واللوجوس عقل. وبشعاعٍ منه ندرك النارَ الإلهيةَ ونتصل بها. لذلك فهو يوحد بينه وبين النار الأولية فيقول: "الحكمة واحدة، أن تعرِف العقل الذي يحرك كل شيء في كل شيء"[٦]. ولكن اللوجوس ليس خالقًا مستبدًا بالعالم ، فالعالم لم يخلقه إله أو بشر، بل هو القانون و المصدر لكل شيء يظهر إلي الوجود[٧].
تشبه الميتافيزيقا عند هيراكليتوس قرينتها عند أناكسيماندروس، في أن فكرة العدالة الكونية تسودها، وهي عدالة تمنع الصراع بين الأضداد من أن ينتهي بنصر تامٍ لأحدهم على الآخر: "لن تجاوز الشمس مدارها، وإن تجاوزته، كشف أمرَها خادماتُ العدالة"[٨]. ولكن هيراكليتوس، من ناحية أخرى، يذكر قانونًا إلهيًا واحدًا (اللوجوس)، يحكم كل شيء عبر كل شيء، وهو يمثل مذهبًا للحاكم الأوحد للعالم [٩].

---

(١) توملين: فلاسفة الشرق، ص ٣٩.
(٢)ويلسون: مصر، ص ص ٧٦-٧٧.
(3) F.M. Cornford, 1975: From Religion To Philosophy, p.184.
(4) J. Burnet : Greek Philosophy from Tales to Plato, Macmillan& Co LTD, London, p.57.
(5) Burnet (J.) , 1975 : Early Greek Philosophy, 4 th ed, Adam & Charles-Black, London. **p.58.**
(٦) أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان، الجزء الأول، ص٦٣.
(7) K. Freeman: The Pre-Socratic philosophers, P.116.
(٨)برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ص٨٤.
(9) Gregory Vlastos, 1975: Equality and Justice in Early Greek cosmologies, in Furley and Allen: Studies in presocratic philosophy, Vol. 11, Ed.By R.E.Allen & D.J. Furly, Routledge & Kagen Paul, New York, pp. 69, 70.

ذهب بيرنت إلي أن هيراكليتوس "كان أيونيًا حتى في لاهوته"، وأن عبارته السابقة ليست أكثر من ذلك الوعي الديني (Religious Consciousness) الذي يعنى بالإله ما عناه أناكسيمينيس بالهواء، أو كسينوفانيس بالعالم. وأن هيراكليتوس، في الحقيقة، على الرغم من استعماله للغة دينية، لم يخرج أبدًا عن العلمانية (Secularism) أو وحدة الوجود (Pantheism) الأيونية، وأن الاعتقاد في إله شخصي وروح خالدة لم يأخذ مكانه في الفلسفة حتى عصر أفلاطون[١].
أظن أن النصوص التي أوردتها لهيراكليتوس فيها ما يكفي لمناقشة رأي بيرنت وبيان مجانبته للصواب.

النتيجة

يمكننا أن نتساءل: ما هو المعنى الملازم لعبارة الكلمة Logos في الفلسفة الإغريقية؟ لقد ورد ذكرها لأول مرة فيما بقي من تأملات هيراكليتوس وكانت تعني عنده مبدأ إبداعيًا، نوعًا من تفكير خصب، محرك لنشاط مقدس. ثم نجدها بعد ذلك عند أفلاطون Plato الذي يستخدمها للإشارة إلى ذلك المظهر من قوة الإله الخلاقة التي ينجم عنها تعدد أعماله. و"الكلمة" هي عامل التنوع، ولكنه تنوع منسق، ليس مجرد إسراف. ومفهوم الكلمة له أيضًا ما يوازيه في الفكر العبري، وكان يمثل أحيانًا في أنه "الحكمة المقدسة" ويبدو، في الواقع أن فكرة "الحكمة" هذه، برغم ما يؤيدها من الفكر الإغريقي، لها بالفعل تاريخ عبري طويل وأصيل، وهذا يحفزنا بدوره إلى التساؤل هل كان العبرانيون، الذين خبروا الكثير من التأثير المصري، لا يدينون بجانب من هذه الفكرة إلى المفكرين المصريين الأوائل؟ وباختصار فإن مؤلفي هذا النص المنفي، نظرًا كونهم "كهنة ميتافيزيقيين"، ربما كانوا أول من أحكم مفهوم الكلمة[٢].
لقد تأمل فلاسفةُ الساحل الأيوني في رواياتِ الخلق المصرية- المثيرة للتفكير وللعقل والمحفزة بقوة على التأمل العقلي- في بداية معقولة للكون فتخير كل منهم روايةً من تلك الروايات واعتمدها مبدأً أعلى، وأصلاً أولياً وبدايةً معقولةً للكون؛ فأخذ طاليس "النون" وحوله إلى "الماء"، وتأمل أناكسيماندروس فلم يجد حاجة بالقول ببداية معينة فقال باللانهائي أو الأبيرون والذي هو صورة من صور الخاؤس الهوميرى هو بدوره كذلك شكل من أشكال حح Heh في الثامون المصري وأعجب أناكسيمينيس "بشو" فنادى بالهواء، بينما سما فكر هيراكليتوس إلى تصور أكثر تجريدًا فقال " بالكلمة" أو اللوجوس البتاحي المصري القديم. وكل هذا لا يمنع أنهم أضافوا من عبقريتهم الشيء الكثير الجديد والذي لا يمكن إنكاره، أو غض الطرف عنه.

---

(1) J. Burnet : Greek Philosophy، p.63.

(٢) توملين: فلاسفة الشرق، ص ٤١.

٥- فيثاغورس (حوالي ٥٧٢-٤٩٧ ق.م)

التحولات في كتاب الموتى الفرعوني

فصل التحول إلى صقر ذهبي: عسى أن أنهض وأجمع شتات نفسي كما الصقر الذهبي عسى أن أدخل إلى حضرة "رع" كل يوم لأسمع كلماته...(١)

فصل التحول إلى الإله الذي يمنح الضوء في الظلام: أنا "حم – نو" لقد أنرت الظلمة.. لقد أتيت ووضعت حدًا للظلام الذي صار حقًا إلى ضياء(٢)

فصل التحول إلى الإله "بتاح":إن رأسي مثل رأس "رع" وعندما ضمت أعضائي صرت كما الإله "آتوم". .. وأنا أحضر لساني مثل لسان "بتاح"(٣).

خلود النفس: فصل عدم الموت مرة أخرى في العالم السفلي:"إنني ابنك أيها الواحد العظيم. لقد رأيت الأسرار الخفية المتعلقة بك لقد توجت ملكًا للآلهة ولن أموت مرة أخرى في العالم السفلي"(٤).

العودة إلى العالم الإلهي: **فصل جعل الروح تتحد مع جسدها في الآخرة**: أيها الإله العظيم لتضمن أن تأتي روحي إليَّ من حيث كانت...وانظروا لتضمنوا لروح (با) "أوزوريس – آني" الظافر فلتبزغ أمام الآلهة عسى أن تكون ظافرة معكم في الأفق الشرقي للسماء عسى ألا يفنى جسدها ولا ينتابه فساد إلى الأبد(٥).

تناسخ الأرواح عند فيثاغورس

"كان فيثاغورس يؤمن بوجود نفسه في أجساد أخرى سابقة، تبدأ من هرمس إله الحكمة، ثم إيثاليدس بن هرمس، ثم لإيفوروبس، ثم هرموتيموس، ثم فيروس الصياد، ثم فيثاغورس[١].

ويحدثنا الفيلسوف اكسينوفانيس أن فيثاغورس أوقف شخصًا عن ضرب كلب يعوي، لأنه عَرِفَ فيه صوتَ أحدِ أصدقائه[٢].

خلود النفس

لخص فرفوريوس- في سيرة فيثاغورس- عقيدته في النفس، بقوله:

"أولاً أن فيثاغورس كان يقول بخلود النفس، ثانيًا، أنها تتحول إلى أشكال حية مختلفة، وأن الأحداث تتعاقب على سبيل الدور، فما من جديد تحت الشمس. وأخيرًا أن جميع الكائنات الحية يجب أن تعتبر أقرباء، ويضيف **فرفريوس** أن فيثاغورس أول من أدخل هذه المعتقدات إلى بلاد اليونان[٣].

العودة إلى العالم الإلهي

لقد تم تصوير الخلود عند فيثاغورس بمعنيين: الأول من حيث التناسخ (مع ارتباط التناسخ بفكرة القرابة بين جميع الكائنات الحية)، والثاني من حيث إمكانية التطهير، والهروب من عجلة الولادات المتكررة ومن قيود الجسد وعبوديته[٤].

---

(١) **والاس بدج : كتاب الموتى الفرعوني: فصل (٧٧) ص، ٨٢.**
وانظر: Book of The Dead, chap lxxvii, p 132.

(٢) **والاس بدج: كتاب الموتى الفرعوني: الفصل (٨٠) ص، ٨٨.**
وانظر:
Book of The Dead, chap lxxx, p 140.

(٣) **والاس بدج: كتاب الموتى الفرعوني: الفصل (٨٢) ص، ٩١.**
وانظر:
Book of The Dead, chap lxxxvii, p 148.

(٤) **والاس بدج: كتاب الموتى الفرعوني: الفصل (٤٤) ص، ٧٣.**
Book of The Dead, chap xliv,Op.Cit p 98.

(٥) **والاس بدج: كتاب الموتى الفرعوني: الفصل (٨٩) ، ص ص، ١٠٣-١٠٤.**
Book of The Dead, chap lxxxix, ,Op.Cit p 148.

- **تحليل النصوص المصرية القديمة: كتاب الموتى: الخلود والعودة إلى العالم الإلهي**

تبدأ فصول "التحولات" من الفصل (٧٧) من كتاب الموتى في بردية "آني" وهى حسب الترقيم: التحول إلى صقر ذهبي- التحول إلى صقر مقدس- التحول إلى الإله الذي يمنح الضوء في الظلام- التحول إلى زهرة لوتس- التحول إلى بتاح- التحول إلى عنقاء- إلخ وفكرة التحولات تكاد تسيطر على الميثولوجيا اليونانية والرومانية وأبرز مثال على ذلك كتاب "أوفيد" (التحولات)، ومن المهم أن نلاحظ أن التحول أو التحور إنما هو خصيصة من خصائص الآلهة ولا يحدث للموجودات الأخرى إلا بناء على أمر الآلهة نفسها(٥).

ربما لا يوجد دليل على تناسخ الأرواح عند قدماء المصريين يماثل ما ورد عند فيثاغورث؛ فالتحولات في كتاب الموتى توضح فقط قدرة المتوفى على التحول إلى هيئة أخرى، لكن النتيجة التي وصلت إليها البحوث الدقيقة المقارنة في انتقال الأرواح من مخلوق لآخر قد أخذت عن المصرية وأنها قد تكونت شيئًا فشيئًا في مصر، ثم انتهت بأن أصبحت تدرس في مدارس اللاهوت المصري الإغريقي نقلاً عن مصر(٦). وكل ما فعله فيثاغورس هو أنه نقل "تحولات المتوفى" إلى "التناسخ" وعده عقوبة للنفس الآثمة، إلى أن تتطهر وتتمكن من اللحاق بعالمها السماوي الذي منه أتت.

- **تحليل فلسفة فيثاغورس في الخلود والعودة إلى العالم الإلهي**

فيثاغورس في مصر

زار فيثاغورس مصر وتعرف على كهنتها، وتعلم منهم الطقوس واللغة المصرية(٧)، ولقد نسب يامبليخوس (Iamblichus)- مؤرخ حياة فيثاغورس- إلى طاليس المَيليتي أنه نصح فيثاغورس بأنه إذا أراد أن يصبح أحكم الرجال وأكثرهم إلوهية فعليه أن يتصل بالكهنة المصريين وأن يتعلم على أيديهم الحكمة(٨). ويقول يامبليخوس أيضًا إن فيثاغورس قضى في مصر اثنين وعشرين عامًا(٩).

---

(١) **الأهواني: فجر الفلسفة، ص ٧٨.**

(٢) **الأهواني: فجر الفلسفة، ص ٧٨.**

(3) **Porphyrius 1957, Vita Pythagorae,19, in G.S.Kirk&J.E.Raven, The PresocraticPhilosohers, Cambridge At The University Press, p223. (وترجمة النص للدكتور ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤)**

(4) **Chrles. H. Kahn,2001: Pythagoras and The Pythagoreans, Hackett Publishing Company, Cambridge, New Yourk p 4.**

(٥) **فيليب عطية: حواشي الفصل (٧٧)، كتاب الموتى، ص ٢١٠.**

Book of The Dead, chap lxxvii p 132.

(٦) **سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الرابع عشر، ص ٥٧.**

(7) **Diogenes Laertius, Lives of Eminent Philosophers, V111,3, p 323.**

(8) **Iamblichus: live of Pythagoras, chap ١١, p٦.**

(9) **Iamblichus: live of Pythagoras, chap IV, p 9.**

يوضح هيرودوت مذهب التناسخ عند المصريين وكيف انتقل منهم إلى فلاسفة اليونان حيث يقول: "يذهب المصريون إلى القول بأن ديميتر (إيزيس) وديونوسوس (أوزيريس) هما أقوى آلهة العالم السفلي، وهما أول من قال بالعقيدة القائلة بخلود الروح وذهب إلى أن الروح لا تفنى وإنما تحل عندما يموت الجسد في جسد مخلوق آخر من حيوانات وطيور وأسماك، حتى تحل مرة أخرى في جسد إنسان. ولقد أخذ بهذه النظرية بعض الكتاب الإغريق المتقدمين منهم والمتأخرين ونسبوا هذه العقيدة لأنفسهم. وهؤلاء معروفون لدي، ولكني أمسك عن ذكر أسمائهم"[١]. وإذا كان هيرودت قد تعفف عن ذكر من أخذ عن المصريين عقيدة التناسخ، فإن هيراكليتوس- معاصر فيثاغورث- يذكر أن:"فيثاغورس انكب على البحث أكثر من غيره، ثم تخير مما اطلع عليه حكمةً ونسبها إلى نفسه[٢].

- **النتيجة**

لا نتوسع في شرح مذهب التناسخ أو خلود النفس عند فيثاغورس، كما أن التأثير المصري هنا لا يحتاج إلا إلى هذه الإشارة العابرة؛ لأنه واضح بشكلٍ كافٍ. لقد لعبت المشكلات الدينية دورًا أكثر أهمية بكثير في تعاليم فلاسفة المدرسة الإيطالية مقارنة مع الأيونيين حيث بُحثت بعناية أكبر نظريات **معقدة عن الإله وخلود النفس وطبيعة الإنسان**[٣].

إذا أثبتنا عمق التأثير المصري على فيثاغورس؛ فإننا نكون قد أثبتناه عند سقراط وأفلاطون (الذي زار مصر وتغنى بمجدها التليد، ورآها المثل الأعلى في أشياء كثيرة) وأيضًا عند أرسطو الشاب، (قبل أن يؤسس مذاهبه الخاصة ويستقل عن أستاذه أفلاطون، ويخلص من تأثير استمر لمدة عشرين عامًا هي مدة بقائه في الأكاديمية تحت عناية معلم عظيم)؛ وسقراط وأفلاطون هما من تلقى فكرة خلود النفس وتناسخها، بل وكافة التأثيرات المصرية على الفلسفة اليونانية.

ولا يمنعنا ذلك من الاعتراف لعباقرة اليونان الثلاثة: فيثاغورس وسقراط وأفلاطون (وإلى حد ما: أرسطو الشاب) بأنهم أسسوا مذاهب ونظريات كبرى خاصة بهم.

٦- كسينوفانيس Xenophanes (حوالي ٥٧٠- ٤٧٨ ق.م)

صفات الإله عند المصري القديم	صفات الإله عند كسينوفانيس
الواحد: "إنه واحد لا نستطيع أن نقاومه بين الآلهة"[٤]. " يا أيها الإله الواحد المطلق، إله واحد ليس له ثان"[٥]. القدم والكمال:" وهو الذي سوى نفسه بنفسه بيده هو والذي لا يعرفه صانع"[٦]. "إنك صانع مصور لأعضائك بنفسك، ومصور دون أن	الواحد:"إنه إله واحد، الأعظم بين الآلهة والبشر، لا مثيل له بين البشر، لا في صورته ولا في تفكيره"[١]."ولكن أولاً يجب على الناس الناس أن يسبحوا بحمد الإله ابتهاجًا...عليهم أن يبجلوا الإله التبجيل الحق فذلك هو الخير الدائم[٢]. القدم والكمال:"إن جوهر الإله كروي، و أنه لا

---

[١] **هيرودوت ٢٠٠١م: تاريخ هيرودوت، الكتاب الثاني، ترجمة عبد الإله الملاح، مراجعة د.أحمد السقاف ود.حمد بن صراي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارت العربية المتحدة، ص ١٨٩.**

[٢] **هيراكليتوس: شذرة رقم ١٧، الأهواني، ص ٣.**

[3] **A.S.Bogomolov,1985, History of Ancient Philosophy, Greece and Rome, trans by: V. Stankerich, Progress Publishers, Moscow, p 65.**

[٤] **كتاب الموتى للمصريين القدماء، فصل ١٧، ص ٥١.**

Book of The Dead, chap xvii p 48.

[٥] **كتاب الموتى للمصريين القدماء ، فصل ١٧٤ص ٢٢١.**

[٦] **بريستيد: فجر الضمير، ص ٣١٢.**

تصور، منقطع القرين في صفاته، مخترق الأبدية، مرشد الملايين إلى السبل"[١] . العلم الكلي:"هو الذي يرى ما خلق"[٢]."إنني الأمس وأعرف الغد"[٣]. استحالة تصور كُنه الإله: "هو أكثر بعدًا من السماء، وهو أكثر عمقًا من العالم السفلي، لا إله يعرف حقيقة شكله أو هيئته، فصورته لا تتجلى في الكتابات، ولا يلقن أحدًا شيئًا مؤكدًا عنه[٤].	يشبه الإنسان. وهو بصر كله وسمع كله، ولكنه لا يتنفس؛ فهو كلى العقل والفكر وأبدى[٧]. العلم الكلي:"يبصر كل شيء، ويفكر في كل شيء، ويسمع كل شيء"[٨]. استحالة تصور كُنه الإله: ""لم يوجد ولن يوجد ذلك الإنسان الذي لديه معرفة يقينية عن الآلهة.. ولكن ليس لدى الجميع سوى الظن والوهم"[٩].

- **تحليل النص المصري القديم: الإله عند المصري القديم**

لم تصل إلينا وثيقة أو وثائق أقدم مما أنتجه التفكير المصري، تضم تعبيرات صريحة يتمثل فيها ذلك التفكير السامي لتصور الإله، ليس فقط منذ عهد أخناتون، بل وحتى قبل أخناتون بزمن طويل، ولكن أخناتون هو الذي حاز الشهرة نظرًا للانقلاب الكبير الذي أحدثه هذا الفرعون الثوري، في تاريخ مصر السياسي والديني والفكري والحضاري.

الواقع أنه لا شيء يكشف لنا بوضوح قيمة عقيدة أخناتون وميله إلى الاعتماد على العقل، أكثر من أنه محا بلا تردد طائفة الأساطير والتقاليد القديمة، والتي كانت تقول بأن النيل هو الإله أوزير، وبهذه الآراء ينتقل تفكير إخناتون إلى ما وراء الإدراك المادي المحض لنشاط الشمس فوق الأرض، ويقدر مبلغ اهتمام "آتون" الأبوي بجميع المخلوقات[١٠]. ولقد كانت ديانة النور هذه أبسط وأوضح عقيدة وضعت.

قد نظن أن إخناتون قد وصل إلى قمة التجريد للإله، لكن سنجد بعده في عهد الرعامسة، وكنتيجة واضحة للتأثير الذي أحدثه بمحاولته التوحيدية، كان هناك فكر آخر إلى حد أبعد حول "الواحد" نجده ظاهرًا في تراتيل فترة الرعامسة. في هذا الفكر، أصبح الكون بأكمله مظهرًا وتجليًا وكاشفًا لسر "الواحد" الباعث على الدهشة، إنه حينذاك إله الكون الذي هو الشمس، والقمر، والسماء، والعالم الآخر، والماء، والهواء، وهو الذي يمسك بيديه الفضاء والوقت، وهو أيضًا ملاذ الأفراد المحتاجين. ومن ثم، فإن هذا الإله أكثر شمولاً وأوسع إدراكًا من آتون إله أخناتون. وبرغم ذلك فإنه يترك متسعًا ومجالاً لكل الآلهة الآخرين، وهو أيضًا يسمو ويعلو فوقهم جميعًا، بينما هو يحجب ويخفى جوهره عنهم[١١].

---

(5) Burnet (J.): Early Greek Philosophy, **Fr, 23, p119.**

(6) Burnet (J.): Early Greek Philosophy, **fr, 1, p. 117.**

(١) بريستيد: فجر الضمير، ص ٢٠٥.

(٢) بريستيد: أنشودة للشمس، سوني وحور من عهد أمنحتب الثالث ١٤١١-١٣٧٥ق.م فجر الضمير، ص ٢٩٥.

(٣) كتاب الموتى للمصريين القدماء: ، فصل ١٧ص ٥١.

Book of The Dead, chap xvii, p 48.

(٤) هورنونج: أخناتون، ص١٢٠.

(7) Diogenes Laretius: Lives of Eminent Philosophers, IX, 19, p.427.

(8) Burnet (J.): Early Greek Philosophy **Fr, 24, p.119.**

(9) Burnet (J.): Early Greek Philosophy, **Fr, 34, p121.**

(١٠) بريستيد: فجر الضمير، ص ٣١٤.

(١١) هورنونج: أخناتون، ص ١٢٢..

• تحليل نصوص كسينوفانيس حول الإله

يعد كسينوفانيس هو واضع "علم اللاهوت"[١] في الغرب. وأول من قال بالتوحيد الصريح في العالم اليوناني. ويثير تصور كسينوفانيس عن الإله الواحد اهتمام الفلاسفة الموحدين (ἐνίζοντες) لأنه كان الأول الذي علمنا وحدة المبدأ الأعلى، على حد تعبير ييجر[٢].

لكن على أي نحو يجب أن نفهم هذا التوحيد؟ أنفهمه على طريقة المؤلهين، أم على طريقة القائلين بوحدة الوجود؟

هنا يختلف المؤرخون بشدة، ولكن معظم الباحثين يرون أن كسينوفانيس كان يقول بوحدة الوجود، ولم يكن يقول بالتأليه بالمعني المفهوم؛ لأنه جمع بين الطبيعة وبين الإله، وتحدث عن الإله بوصفه الطبيعة وتحدث عن الطبيعة بوصفها الإله[٣].

إذا طالعنا رأي أرسطو- وقد تابعه معظم المؤرخين كالعادة!- فإننا نجده في كتابه "الميتافيزيقا" يتحدث عن فلاسفة مدرسة إليا (Elea) ونظرتهم إلي الوجود ووحدة الكون، ويخص بالذكر منهم كسينوفانيس، وبارمينيدس ، وميلسيوس- ويقول: "يبدو أن بارمنيدس كان من أنصار وحدة الوجود الصورية، أما ميليسوس فكان مع وحدته المادية (لذلك يقول الأول بأن الوجود محدود في حين يقول الثاني إنه لا متناهٍ)"[٤]. وحين يتحدث عن كسينوفانيس يقول:"إنه لم يكن واضحًا في (فكره)، ويبدو أنه لم يكن ملمًا بأي من المفهومين (المذكورين أعلاه) عن الطبيعة، كل ما في الأمر أنه تأمل في الكون بأسره، وقال إن الواحد موجود وهو الإله"[٥]. ويخلص من ذلك إلي القول:"لذلك ينبغي استبعاد هؤلاء الفلاسفة من نطاق بحثنا الحالي، واثنان منهم ينبغي تجاهلهما كلية- كسينوفانيس وميليسوس- لأن أفكارهما ساذجة للغاية، أما بارمنيدس فيبدو أنه تحدث بقدر أكبر من العمق والتأمل"[٦]. (أما أرسطو الذي استبعد إكسينوفانيس فسوف يقلده في أخذ أهم صفة من صفات إله كسينوفانيس إلا وهى الثبات؛ حيث يصف أرسطو إلهه بأنه الثابت؛ أي المحرك الذي لا يتحرك!).

هكذا بسّط أرسطو أفكار كسينوفانيس حول وحدة الوجود والتوحيد إلي درجة التسطيح، وعدَّه مفكرًا مشوشًا ساذجًا؛ ووصل الأمر إلي حد تجاهله نهائيًا وإسقاطه من اعتباره للأسباب التي ذكرها. إن هذا التقييم من قبل أرسطو لكسينوفانيس يتسق مع شخصية أرسطو- كما نعرفها من أعماله ومؤلفاته- فهو عالم يؤمن بالبراهين والأدلة المادية والتجريبية، ولا يقيم وزنًا لرؤية روحية عقلية منطقية للكون. وهنا قد نتساءل: هل كان هذا الموقف المضاد من كسينوفانيس قائمًا على الاختلاف العلمي حول رؤيته من الكون والطبيعة فقط؟ أم أن موقفه اللاهوتي من موضوع التوحيد كان أمراً غريبًا كل الغرابة في بيئته فصدم معاصريه ولاحقيه ودعاهم إلي نبذه ورفض أفكاره واتهامه بالسذاجة والتشوش؟ أغلب الظن أن هذا الموقف الأخير قد أسهم كثيرًا في هذا الرفض له، والتعتيم على أفكاره، ولكن يكفي كسينوفانيس شرفُ

---

[١] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٢٨.

[2] W. Jeager1948.: The Theology of The Early Greek Philosophers, At Clarendon Press, Oxford, London. **p. 51.**

[٣] عبد الرحمن بدوي ١٩٨٤م : موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ص٢٦٨.

[4] Aristotle: Metaphysics 986 b. 19-22, p. 504
نقلاً عن: محمد عبد الغني السيد ٩٩ – ٢٠٠٠م: التوحيد في الفكر اليوناني القديم، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، الكتاب السنوي الرابع، القاهرة، ص ص ١٥٩، ١٦٠.

[5] Aristotle: Metaphysics, 22-24, p. 504.

[6] Aristotle: Metaphysics: 25-28, p. 504.

الريادةِ بين الإغريق في إعمال عقله ووجدانه حول الخالق الأوحد والأعظم، حتى وإن اصطدمت دعوته بآذان صماء وأفكار مناوئة، حاولت التعتيم عليه وعلى أفكاره، وإسقاطه في غياهب النسيان[١].
إذا كانت دعوة كسينوفانيس قد جاءت ربما في غير وقتها وسبقت عصرها شأنها شأن كل الدعوات الثورية (مثلما هى دعوة أخناتون!)، وعلى ذلك لم تؤت ثمارها بين اليونانيين أنفسهم إلا أن كسينوفانيس كان أول من صاغ العالمية الدينية (Religious Universalism)، والتي أضحت- منذ العصر القديم المتأخر وبشكل أكبر في العصر المسيحي- تحتل مكاناً بارزاً باعتبارها الصفة الأساسية لفكرة الإله والتي لا غنى عنها لأي دين حقيقي[٢].كما أن مذهب كسينوفانيس قد تكفل بمهمة وضع المعايير العامة للتعبير الديني الورع"[٣].
الآن علينا أن نعيد كل تلك الأيادي البيضاء على تاريخ الفكر الإنساني إلى أصحابها الأول: المصريين القدماء وعلى رأسهم أخناتون (وبالطبع دون أن ننكر فضل كسينوفانيس).

- **النتيجة**

وبناء على ذلك يمكن القول: إن كسينوفانيس قد التقط الخيط من الفلاسفة الشرقيين، فرجع إلي فكرة العالم الواحد في رعاية الإله الواحد. لقد حاول كسينوفانيس أن يقوم في بلاد اليونان بالدور نفسه الذي قام به اخناتون في مصر القديمة، فهو قد بدأ بنقد عقائد معاصريه من جهة، وبدأ يدعو مثل اخناتون إلي عقيدة مفادها: أن "الإله واحد"[٤].
لقد كان المصري القديم إنسانًا شديد التقوى، فنظم الأناشيد معبرًا للآلهة، في صورة شعرية، عن امتنانه وعبادته، وسوف يترك هذا الشعر المقدس الغزير أثرًا مؤكدًا على الآداب اللاحقة الكلاسيكية القديمة واليهودية والمسيحية. وسوف يعلن أمير بيبلوس في عام ١١٠٠ ق.م، قائلاً: "إن الرفعة والحكمة قد جاءتا من مصر"[٥].

خاتمة البحث: النتائج

النتائج الجزئية موزعة على صفحات البحث؛ فيبقى عليَّ أن أشير إلى بعض النتائج العامة الأساسية، وذلك على النحو الآتي:

١. حاولت تقديم نموذج تفسيري مبسط، يتكون من عناصر ستة، شكلت البنية النظرية لما أسميته "نموذج الإسهام الحضاري".
٢. وبناء على هذا النموذج التفسيري حاولت عقد المقارنات النصية، أي مقارنات بين نصوص الفكر المصري القديم ونصوص الفلسفة اليونانية كما وصلتنا من ستة من أشهر الفلاسفة السابقين على السوفسطائيين، والمؤسسين للفلسفة التالية عليهم؛ ومن ثم فهم الأساس الذي بُنيت عليه الحضارة الأوربية.
٣. أثبت البحث عدم صحة النموذج الأوربي المتطرف الذي أقر نظرية "المعجزة اليونانية" وحاولنا بيان تهافته، و لعلنا بذلك نكون قد قدمنا دعمًا جديدًا وتعميقًا لما توصل إليه باحثون غربيون وعرب من قبلنا، فهذا البحث مَدين بنتائجه لكل الكتابات السابقة حول الموضوع.
٤. يرجح البحث أن نظرية "المعجزة اليونانية" نتجت عن وقوع بعض مؤرخي الفلسفة في القرن التاسع عشر، تحت تأثير الحركة العقلانية مما جعلهم يضفون الصفة التجريدية الخالصة، والعلمية

---

(١) عبد الغني السيد: التوحيد، صفحات، ١٥٩ ،١٦٠، ١٦١.

(2) W. Jeager: The Theology**, p. 48.**

(3) G. Vlastos: Equality and Justice. P.94.

(٤) مصطفي حسن النشار ١٩٩٨م: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، الجزء الأول، السابقون على السوفسطائيين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ١٧٩.

(٥) بيير جريمال:مقدمة كتاب: نصوص مقدسة ، ص ٢١.

المحضة، على الفلاسفة الأول؛ حيث أطلقوا عليهم اسم "الطبيعيين الأوائل"؛ ليقطعوا بذلك أية صلة بينهم وبين الميثولوجيا أو اللاهوت القديمين.

٥. لقد أهمل هؤلاء المؤرخون النصوص الأسطورية واللاهوتية التي بقيت من شذرات فلاسفة القرن السادس قبل الميلاد؛ وقصروا تحليلاتهم على النصوص التي تتسم بالعقلانية والتجريدية بشكل واضح؛ وإذا هم أشاروا إلى تلك النصوص أخذوا في تأويلها تأويلاً عقليًا "خالصاً"؛ تأويلاً ربما لا تحتمله هذه النصوص ذاتها.

٦. أثبت البحث عدم صحة النظرية المقابلة التي تقول ب"المعجزة المصرية"، أو النموذج الشرقي المتطرف، المقابل للنموذج الأوربي المتطرف، بناء على ما نراه من أن اليونانيين أضافوا الكثير من عبقريتهم الفذة؛ ولا يمنع أن مصر أسهمت في تشكيل وعيهم بالمشكلات الميتافيزيقية الكبرى؛ كمشكلة أصل الكون أو المبدأ الأول، لا يمنع ذلك من الاعتراف بما أضافوه ومما نرى أنه شكل "نقلة جبارة" في تاريخ الفكر الفلسفي العالمي، لولاهم ما تمت هذه النقلة؛ وإن جاءت متأخرة بأكثر من ثلاثين قرنًا تقريبًا من تاريخ النقلة الجبارة الأولى التي بدأها المصريون القدماء.

٧. أطلق البحث اسم "الإسهام الحضاري" على دور مصر القديمة الذي لعبته في تاريخ الفلسفة، ونرى أن ذلك أقرب إلى المنطق والعلم والمنهجية، ومن قبل ذلك ومن بعده أقرب إلى الإنصاف.

٨. قدم البحث "دليلاً نصيًا" أو ما يظن أنه "برهان نصي" على كل قضية أو مسألة تمت مناقشتها، لنستخرج النتيجة الأساس الكبرى وهى: إن مصر القديمة كان لها إسهام حضاري فعال وبارز، في الفلسفة اليونانية، ومن ثم فهي تعتبر، بناء على ذلك، الحلقة الأولى في سلسلة تاريخ الفلسفة في العالم، مما يحتم أن تبدأ دراسة الفلسفة بدراسة تاريخ الفكر الديني في مصر القديمة.

٩. يظن الباحث أنه حاول "خدش السطح" (وإن كان غير متيقن تمامًا أنه قد فعل)؛ لذا فالبحث يظل مفتوحًا على إمكاناتٍ مستقبليةٍ واعدة؛ يقوم بها باحثون أقدر على أن يضيفوا جديدًا؛ فيذهبوا بعيدًا إلى آفاق أكبر عمقًا وأبعد غوراً عن السطح؛ وإن كانت هذه الإمكانات- على ما يبدو- تحاول الوصول إلى أعماق لا تنتهي لأنها تخص حضارة ... قررت أن يكون الخلود عنوانها الرئيس وهدفها الأسمى.

المصادر والمراجع

أولاً– المصادر:

١–المصادر المترجمة إلي اللغة العربية:

١. أرسطو ، ٢٠٠٨م -: علم الطبيعة، الجزء الأول، ترجمه من الإغريقية إلى الفرنسية بارتلمي سانتهلير، نقله إلي العربية أحمد لطفي السيد،الهيئة العامة للكتاب،القاهرة.
٢. أرسطو، ٢٠٠٥م: الميتافيزيقا، د. إمام عبد الفتاح إمام، ترجمة الكتب الخمسة الأولى من ميتافيزيقا أرسطو، ضمن كتابه: مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر، القاهرة.
٣. أفلاطون، ١٩٨٦م : القوانين، ترجمه من اليونانية إلى الإنجليزية د. تيلور، نقله إلي العربية محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٤. أفلاطون، ١٩٧٩م -: فيدون (في خلود النفس) ترجمها عن النص اليوناني مع مقدمات وشروح د. عزت قرني، مكتبة الحرية الحديثة، جامعة عين شمس، القاهرة.
٥. أفلاطون ، ١٩٩٥: كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ترجم المحاورة وقدم لها بدراسة تحليلية الدكتور عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان.
٦. أفلاطون، ١٩٧٤: الجمهورية، ترجمة د. فؤاد زكريا، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
٧. أفلاطون١٩٧٠م: جورجياس ، ترجمها عن الفرنسة محمد حسن ظاظا، راجعها الدكتور على سامي النشار، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.
٨. أفلاطون ،١٩٦٢م: كتاب النفس، الطبعة الثانية، ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني، راجعه على اليونانية الأب جورج شحاتة قنواتي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٩. بارجه (بول) ، ٢٠٠٤م: كتاب الموتى للمصريين القدماء: قام بكتابة المقدمة والترجمة من اللغة المصرية إلى اللغة الفرنسية، وكذلك التعليق، بول بارجه وقام بترجمة النص الفرنسي إلى اللغة العربية الدكتورة: زكية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة.
١٠. بدج (والس) ، ١٩٨٨م كتاب الموتى الفرعوني، برت إم هرو (عن بردية آني بالمتحف البريطاني)، الترجمة عن الهيروغليفية: السير والس بدج، الترجمة العربية والتعليق: د. فيليب عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة.
١١. بريتشارد (جيمس) ، ١٩٨٧م: نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم، الجزء الأول، الأساطير والقصصص والنصوص الجنائزية المصرية، تعريب وتعليق د. عبد الحميد زايد، مراجعة، د.محمد جمال الدين مختار، وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية، القاهرة.
١٢. صابر (حسن) ، ٢٠٠٢م: متون الأهرام المصرية القديمة، المشروع القومي للترجمة، رقم (٣٣٦)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
١٣. لالويت (كلير) ، ١٩٨٤: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة كلير لالويت، ترجمة من المصرية القديمة إلى الفرنسية، المجلد الأول، عن الفراعنة والبشر، الترجمة العربية: ماهر جويجاني، مراجعة:د.طاهر عبد الحكيم، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة-باريس.
١٤. هوميروس، ٢٠٠٨م: الإلياذة، طبعة ثانية، تحرير ومراجعة د.أحمد عتمان، المشروع القومي للترجمة، رقم (٧٥٠) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

٢- المصادر المترجمة إلي اللغة الإنجليزية

1. Aristotle: 1952 Physics, The works of Aristotle, vol.1, Trans by R.P.Hardie and R.K.Gaye, in: Great Books of The Western

World, ed by: R. M Hutchins, Vol 8, William Benton Publisher, Encyclopaedia Britannica, Chicago, London.
2. Aristotle:1952, Metaphysics, The works of Aristotle, vol.1,Trans by R.P.Hardie and R.K.Gaye, in: Great Books of The Western World, ed by: R. M Hutchins, Vol 8, William Benton Publisher, Encyclopaedia Britannica, Chicago, London.
3. Budge (Wallis)١٨٩٨ , Book of The Dead, , tr. By.Wallis Budge, Routledge & Kegan Poul LTD, London.
4. Faulkner . 1973,The Ancient Egyptian Coffin Text, Trans By Faulkner: vol 1 Spells 1-354, Aris& Phillips, Warminster, England.
5. Homer: 1952 The Iliad, rendered into English Prose by Samuel Butler, in Great Books Of The Western world , Vol 4 , Benton Publisher , Chicago.
6. Laertius (Diogenes): , 1972 Lives of Eminent Philosophers, Vol. 11, Trans By: R. D. Hicks, M.A. Cambridge, Massachusetts, Harvard university Press, London.
7. Plato, 1926, Laws, ed by R.G. Burg vol x, Loeb classical library, William Helnemann, London, G.pputnams sons, New Yourk.

ثانيًا – المراجع

١- المراجع العربية:

١. أسمن (يان) ٢٠١٣: الذاكرة الحضارية ، الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٢. الألوسي (د.حسام الدين) ، ١٩٨١م: بواكير الفلسفة قبل طاليس، أو من الميثولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
٣. الأهواني (د. أحمد فؤاد) ،٢٠٠٩م: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
٤. بارندر (جفري) ، مايو، ١٩٩٣م: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: د.إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة د.عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، ١٧٣، الكويت.
٥. بدج (والاس) ، ١٩٩٨م: آلهة المصريين: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٦. برستد (جيمس هنري) ، ١٩٩٦م: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة الدكتور: حسن كمال، راجعه وصححه: محمد حسين الغمراوي بك، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية.
٧. برستد (جيمس هنري) ، ١٩٩٩م: فجر الضمير، ترجمة: د.سليم حسن، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
٨. برنال (مارتن) ، ١٩٩٧م: أثينة السوداء (الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية) الجزء الأول، تلفيق بلاد الإغريق (١٧٨٥-١٩٨٥)، تحرير ومراجعة وتقديم: د.أحمد عتمان، ترجمة لفيف من العلماء، المشروع القومي للترجمة، القاهرة.
٩. برهييه (إميل) ، ١٩٨٧م: تاريخ الفلسفة، الجزء الأول، الفلسفة اليونانية، الطبعة الثانية، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
١٠. بوزنر (جورج)، وآخرون، ١٩٩٦م: معجم الحضارة المصرية القديمة، الطبعة الثانية، ترجمة: أمين سلامة، مراجعة: د. سيد توفيق ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
١١. توسي (ماريو) و ريو ردا (كارلو) ، ٢٠٠٨م: معجم آلهة مصر القديمة، ترجمة ابتسام محمد عبد المجيد، مراجعة وتقديم د. محمد ماهر طه، سلسلة مصريات رقم ٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
١٢. توماس(هنري) ، ١٩٦٤: أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ترجمة: متري أمين، مراجعة وتقديم د.زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، القاهرة.
١٣. توملين (أ.ف) ، بدون تاريخ: فلاسفة الشرق، الطبعة الثانية، ترجمة: عبد الحميد سليم، مراجعة: على أدهم، دار المعارف، القاهرة.
١٤. جارودي (روجيه) ، ٢٠١٣م: في سبيل حوار الحضارات، ترجمة د. عادل العوا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
١٥. جريمال (بيير) ، ١٩٩٦، مقدمة كتاب: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة من المصرية القديمة إلى الفرنسية، كلير لالويت، المجلد الثاني، الأساطير والقصص والشعر، الترجمة العربية: ماهر جويجاني، مراجعة:د.طاهر عبد الحكيم، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة-باريس.
١٦. جيمس (جورج جي. أم.) ، ١٩٩٧م: التراث المسروق، الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة.
١٧. حسن (سليم) ٢٠٠٠م: مصر القديمة، الجزء الرابع عشر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
١٨. ديورانت (ول) ، ٢٠٠١م: قصة الحضارة، م٣، حياة اليونان، ترجمة: محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

١٩. راسل (برتراند) ، القاهرة، ١٩٥٧م: تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، الفلسفة القديمة، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، راجعه د.أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٢٠. الرشيدي (ثناء) ٢٠٠١م: "النار الأثيرية عنصر مؤثر في عملية الخلق"، بحث ضمن كتاب الملتقى الرابع للآثاريين العرب، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، القاهرة ص ص ١٢١-١٣٦.
٢١. سارتون (جورج) ،١٩٩١ م: تاريخ العلم، الجزء الأول، ترجمة: لفيف من العلماء بإشراف د.إبراهيم بيومي مدكور، دار المعارف، القاهرة.
٢٢. السيد (د. محمد عبد الغني) ٩٩- ٢٠٠٠م: التوحيد في الفكر اليوناني القديم، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، الكتاب السنوي الرابع، القاهرة.
٢٣. شيفر (بيرون) المحرر، ٢٠١٢ :الديانة في مصر القديمة، مجموعة من المؤلفين، ترجمة وتقديم: د.محمود ماهر طه، سلسلة مصريات (١٠) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٢٤. طلب (د.حسن) ، ٢٠٠٣م: أصل الفلسفة، حول نشأة الفلسفة في مصر القديمة وتهافت نظرية المعجزة اليونانية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة.
٢٥. عتمان (د. أحمد) ، ١٩٩٧م: مقدمة كتاب مارتن برنال: أثينة السوداء، الجزء الأول، تلفيق بلاد الإغريق (١٧٨٥-١٩٨٥)، تحرير ومراجعة وتقديم: د.أحمد عتمان، ترجمة لفيف من العلماء، المشروع القومي للترجمة، القاهرة.
٢٦. فخري (د. ماجد) ، ١٩٩١م: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرَقلِس، دار العلم للملايين، بيروت.
٢٧. فرانكفورت (ه.) ، ١٩٨٠م وآخرون: ما قبل الفلسفة، الطبعة الثانية، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
٢٨. فرانكو (إيزابيل) ، ٢٠٠٥م: أساطير وآلهة (نفثات رع إله الشمس)، ترجمة حليم طوسون، مراجعة: محمود ماهر طه، المشروع القومي للترجمة رقم (٦٥٥)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
٢٩. كرم (يوسف) ، بدون تاريخ: تاريخ لفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت.
٣٠. كيلاني (د. مجدي) ، ٢٠٠٩م: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دراسة مصدرية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
٣١. مطر(د. أميرة حلمي) ، ١٩٨٦م: الفلسفة عند اليونان، الجزء الأول، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٣٢. النشار (د. مصطفى) ، ١٩٩٧م: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، الطبعة الأولى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٣٣. النشار (د. مصطفى)،١٩٩٨م -: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، الجزء الأول، السابقون على السوفسطائيين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة.
٣٤. نيتشه : ، ١٩٨١م الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، تعريب الدكتور سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
٣٥. هورنونج (إريك) ، ٢٠١٠: أخناتون وديانة النور، ترجمة وتقديم: د.محمود ماهر طه، سلسلة مصريات رقم ٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٣٦. ويلسون (جون) ، ١٩٨٠: مصر، بحث ضمن كتاب: ما قبل الفلسفة، الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى،الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٢- مراجع باللغة الإنجليزية:

1. Bogomolov (A.S.) 1975, History of Ancient Philosophy, Greece and Rome, trans by: V. Stankerich, Progress Publishers, Moscow, 1985London,
2. Burnet (J.) 1961, Greek Philosophy from Tales to Plato, Macmillan& Co LTD,
3. Burnet (J.) , 1975 : Early Greek Philosophy, 4 th ed, Adam & Charles-Black, London.
4. Cornford (F.M.) , 1991: From Religion To Philosophy, PrincentonUniversity press, Princenton.
5. Freeman (K.) , 1959_: The Pre-Socratic philosophers, 2nd ed. Basil Black Well Oxford.
6. Gomperz (Theodor) 1964., The Greek Thinkers, vol1, trans By Laurie Magnus, John Murray,Albemarle Street,W, London,
7. Hegel (G.W.F) 1972.: The Philosophy of History. tran. by J. Sibree, Dover Press., London,
8. Iamblichus,1818: live of Pythagoras or Pythagoric life , translated from the Greek by Thomas Taylor, J.M.Watkins, London,
9. Jeager (W.) 1957: The Theology of The Early Greek Philosophers, At Clarendon Press, Oxford, London. 1948.
10. Kirk (G.S.) & Raven (J.E.), The Presocratic Philosohers, Cambridge At The University Press,.
11. Marias (J.) 1967: history of philosophy, translated from Spanish By Stanley Appelbaum and Clarence C.Strowbridge, Dover Publications, Inc, New York,.
12. Porphyry: 1987. The Life of Pythagoras, in K.S. Guthrie, Pythagorean Source Book and Library, Phanes Press,
13. Riedweg (Christoph) 2008:Pythagoras: His life, Teaching, and influence, translation from German By Steven Rendall, Cornell University Press, New Yourk.
14. Ross (W. D.): 1971 Aristotle, Methuen & Co. LTD, London,
15. Vlastos (Gregory) 1975: Equality and Justice in Early Greek cosmologies, in Furley and Allen: Studies in presocratic philosophy, Vol. 11, Ed.By R.E.Allen & D.J. Furly, Routledge & Kagen Paul, New York,
16. Zeller (E.) 1980: Outlines of The History of Greek Philosophy, Trans by:- LR. Plamer, 13th Ed, Dover Publications Inc, New York,.